معجم الفقهاء

حياة الإمام أبي حنيفة

بقلم

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الاستاذ

السيد عفيفي

المحامي الشرعي

محرر مجلة المحاماة الشرعية

الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة .

(الامام الشافعي)

لو قال أبو حنيفة هذه الأسطوانة من ذهب لأقام الدليل على صحة قوله .

(الامام مالك)

من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله تعالى لايخاف ولا يكون فرط في الاختيار لنفسه — (الامام مسعر)

نشر حياة العظماء يساعد على انتشار الرقي الذي تستفيد منه الانسانية .

(لوبون)

القاهرة

١٣٥٠

عنيت بنشره

المطبعة السلفية — ومكتبتها

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى

وبعد فانَّ الامم بالصفوة المختارة من رجالها . وليس أدل على علم الامة بقدر نفسها من عنايتها بدراسة حياة أعلامها ، وإشادتها بمناقبهم ، وتأسيها بفضائلهم . وقد علم ذلك العلامة الهمام الاستاذ السيد عفيفي المحامي محرر مجلة المحاماة الشرعية ، فعزم على اصدار سلسلة كتب لطيفة في تاريخ حياة مؤسسى المعارف الفقهية في الاسلام ، وبدأ بسيرة إمام الائمة أبي حنيفة النعمان رحمه الله فجمع شتاتها من كتب كثيرة بين مخطوطة ومطبوعة ، وأحسن تبويبها وتنظيمها ، فجاءت كما ترى جميلة الوضع ، قريبة التناول ، جامعة من أخبار هذا الامام ما لا يجوز لاحد ممن ينتمي الى مذهبه أن يجهله ، بل هي درس سام لكل ناشىء في الاسلام يعد نفسه لعمل الخير في الوطن الاسلامى . فجزى الله المؤلف أفضل الجزاء ، ووفقه الى الاكثار من أمثال هذا الكتاب القيم انه ولى التوفيق

محب الدين الخطيب



الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه وجميع الأنبياء والمرسلين . و بعد فيقول العالم الفرنسي المشهور (لوبون Le Bon) :

الفارق بين الأوربيين و بين الشرقيين هو اختصاص الغربيين بفريق راقٍ من العظماء دون الشرقيين

ان مقدرة الشعب كلها تجتمع في هذه الطائفة من الرجال الممتازين . أولئك الذين اذا أخرجناهم من كل جيل سقط مستوى الأمة العقلي سقوطاً كبيراً

والى هذه الطائفة يرجع الفضل في الرقي الذي وصلت اليه العلوم والفنون والصناعة وجميع فروع الحضارة وانا لمدينون لهذا الرهط بكل رقي وفضل

ومع كون المجموع منتفعاً بهذا الرقي فان الناس لا يرتاحون عادة للتفوق عليهم وان كان النبوغ آتياً من بينهم . لذلك ذهب

عظماء المفكرين وكبار المكتشفين ضحية غضب قومهم في غالب الأحيان وما درى القوم أن غرس الاجيال السالفة وثمرة ماضيها انما تنمو في بستان تلك العقول النابغة التي هي قطوفها الدانية. أولئك هم مجد الامم، وكل فرد من أفرادها وان صغر يفخر بهم ويعتز بشأنهم لانهم لا يوجدون اتفاقاً ولكنهم ثمرة الماضي الطويل. فيهم تمثل عظمة عصرهم ومكانة أمتهم. وكل من ساعد على انبثاق أزهارهم فانما يساعد على انتشار الرقى الذي تستفيد منه الانسانية »

هذا وأمثاله ـ من عدم عناية معاهدنا بتدريس حياة أعيان عظمائنا، ومن جهل معظم ناشئتنا بتاريخ علمائنا وأئمتنا جهلا نلام عليه ونعاب، ومن خلو لغتنا من المعدّات المتوافرة في اللغات الاوربية لدراسة حياة العظماء، وهي من أهمّ ما يدرس ـ هو الذي دعانا لوضع « معجم الفقهاء » في أجزاء صغيرة منظمة جميلة الطبع رخيصة الثمن ترغيباً في الحصول عليها والاستفادة منها

ونتقدم بهذا الجزء الذي كسرناه على حياة الامام أبي حنيفة مثالاً لباقي أجزاء هذا « المعجم » فلقد كانت مناقب الامام مبعثرة في بطون الكتب فبذلنا من الوقت والمجهود في سبيل جمعها ونقدها وتنسيقها وتمحيصها ما بذلنا حتى أخرجناها من بين فرث ودم لبناً

خالصاً سائغاً للشاربين، وحتى جاءت أصح ما كتب عن أبي حنيفة وخير مرجع لتاريخ حياته .

ولم نذكر قولا الا مسنداً الى قائله الثقة.

ولم نتعصب على الامام أوله فلم ننظر اليه بعين السخط فنجعل حسناته سيئات . ولا بعين الرضا فنتغاضى عما يجب أن ينقد ويلاحظ ، ولكننا جرّدنا نفسنا من عواطف الهوى و الحب والكره ، والرضا والسخط . فجاءت هذه المناقب بحول الله كما ترى مكتوبة بقلم المؤرخ الناقد المنصف الذي لا يتعصب ولا يحابي ولا يبغي سوي خدمة الحقيقة والتاريخ

ومن هذه السيرة يُرى أن للمسلمين في التشريع عظماء هيهات أن يوجد لهم نظير لدى الأمم الإخرى

ويرى الشبان والناشئون وطلاب العلم وطالباته من المسلمين أن لديهم عظماء وعلماء وأئمة هم المثل الاعلى الجدير بهم أن يقتدوا به ويهتدوا بهديه ويباهوا به وينسجوا على منواله .

السيد عفيفي
المحامي الشرعي



والد الامام ـ مولد الامام ـ اسمه وكنيته ـ صفته اصله ـ بشارة النبي ﷺ به ـ سبب طلبه العلم علومه ـ تبريزه في الجدل والكلام سبب اشتغاله بالفقه

١ ـ والد الامام

هو ثابت بن النعمان بن المرْزَبان . وكان ثابت هذا يرجع الى دين وعقل ومروءة تصدر عن جد ، فقد روى أنه كان في شبابه ورعا زاهداً ، وكان يوما يتوضأ من جدول فجاءت تفاحة في الماء ، فأمسكها وأكلها بعد الفراغ من الوضوء . ثم بصق فرأى بصاقه دما . فقال في نفسه : لعل ما أكلته حرام وإلا لما تغير بصاقي . فتبع رأس الجدول فوجد شجرة تفاحها مثل ما أكل . فطلب صاحبها وقص عليه القصة وأعطاه درهماً وقال : اجعلها في حلّ . فلما رأى صاحب التفاحة ورعه وصلابته في دينه ، أحبّه وقال : لا أرضى بدرهم ولا بألف ولا بأكثر . فقال ثابت : فبم ترضى ؟ قال : ان لى ابنة لا ترى ولا تنطق ولا

تسمع ولا تمشي ، فان تزوجتها أجعلها في حل ، وإلا أخاصمك يوم السؤال والحساب . فلبث ثابت في التفكر ساعة ثم قال في نفسه : عذاب الدنيا أسهل و ينقضي وعذاب الآخرة أشد وأبقى وتزوج بها . فلما دخل عليها تقبلته بقبول حسن ، فاشتبه على ثابت الامر . لأنه وجدها حسناء سميعة مبصرة ناطقة ... فقالت له : أنا زوجتك بنت فلان . قال : وجدتكِ على خلاف ما وصفك أبوك . قالت : نعم فاني كنت من سنين لم أطأ خارج البيت ، ولم انظر الاجانب ولم أسمع كلامهم ولم يسمعوا كلامي . . . فعرف ثابت الحال وقال : « الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ، إن ربنا لغفور شكور »

هيهات لا يأتي الزمان بمثل ثابت ولا بمثل صاحبته ، فلا عجب أن يتولد منهما ولد في صورة الانسان وسيرة المَلَك ، ويحيي الله به دينه القويم ، ويشيع مذهبه في الاقطار ، ويعم فضله وعلمه الامصار

٣ ـ مولد الامام :

من هـذا الوالد الورع الزاهد ، وهـذه الام الطاهرة وُلد الامام الاعظم أبو حنيفة النعمان في مدينة الكوفة في سنة ٨٠ من الهجرة النبوية ، في عصر الدولة الاموية ، في خلافة

عبد الملك بن مروان على الصحيح ، وذلك في حياة جماعة من الصحابة رضي الله عنهم

وكان أكثر اقامته بالكوفة الى أن أكرهه يزيد بن هبيرة والى العراق على القضاء فامتنع فضربه فأصر على الامتناع . فخلى سبيله ، فهاجر الى مكة وأقام بها الى أن زالت دولة بني أمية فرجع الى الكوفة وأقام بها

ولما أفضت الخلافة الى أبي جعفر المنصور أكرمه وأجله ، ثم طلبه ليولى القضاء فامتنع فضربه وحبسه فأصر على الامتناع ومكث في السجن دون العشرين يوما حتى توفى فيه ، رضي الله عنه

٣ ـ اسمه وكنيته :

اسمه النعمان . وهو منقول من اسم جنس قيل : انه الدم . وقيل : انه الروح . فيكون اتفاقا حسناً . لأن أبا حنيفة روح الفقه وقوامه ، ومنه مفشؤه ونظامه . ولا يكاد يتجرد عن الالف واللام فلا يقال : نعمان الا عند النداء أو الاضافة أو التنكير

وكنيته : أبو حنيفة ، مؤنث حنيف وهو الناسك أو المسلم . لان الحنف الميل ، والمسلم مائل الى الدين الحق

وقيل سبب تكنية الامام بذلك أنه كان ملازماً لصحبة الدواة و حنيفة بلغة العراق الدواة ، فكنى بها

٤ ــ صفته :

قال الامام أبو يوسف : كان الامام أبو حنيفة ربعة من الرجال ليس بالطويل ولا بالقصير ، وكان من أحسن الناس صورة ، وأبلغهم نطقاً ، وأكملهم ايراداً وأحلاهم نغمة ، وأبينهم لما يريد

وروى الامام ابن دُكَين قال : كان الامام أبو حنيفة حسن الوجه . حسن اللحية . حسن الهيئة و الثياب . حسن النعل . حسن المجلس . حسن السمت . هيوباً شديد الكرم كثير المواساة لاخوانه كثير التعطر . كان اذا خرج من منزله يعرف بريح المسك قبل أن يراه الناس

٥ ــ أصله :

هو عربي المولد و النشأة ، وجدوده من فارس و لا غضاضة اذا كان الامام فارسي الاصل ، فالتقوى أعلى الانساب وأقوى أسباب الثواب . قال تعالى : « إن كرمكم عند الله أتقاكم » وقال النبي ﷺ : « آلي كل برّ تقيّ » ولهذا عَـدّ سليمان الفارسي من أهل البيت فقال : « سليمان منا أهل البيت » ونفى الله تعالى

ولد نوح من نوح فقال : « إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح » وقرب رسول ﷺ بلالا الحبشي به ، وبعد عمه أبا لهب القرشي . وعنه ﷺ أنه قال : « لو كان العلم معلقاً بالثريا لسبق اليه غلمان من أولاد فارس » وكم لعلماء الفرس من فضل وكم لهم من مآثر وكم خدموا الاسلام وعلومه . قال عطاء :

دخلت على هشام بن عبد الملك بالرصافة فقال : ياعطاء هل لك علم بعلماء الأمصار . قلت بلى يا أمير المؤمنين . فقال : فمن فقيه أهل المدينة ؟ قلت نافع مولى ابن عمر . فقال : فمن فقيه أهل مكة ؟ قلت : عطاء ابن أبي رباح قال : مولى أم عربي ؟ . قلت لا بل مولى . قال فمن فقيه أهل اليمن ؟ قلت : طاوس بن كيسان . قال : مولى أم عربي ؟ قلت : لا بل مولى . قال فمن فقيه أهل اليمامة ؟ قلت: يحيى بن أبي كثير . قال : مولى أم عربي ؟ قلت لا بل مولى . قال فمن فقيه أهل الشام ؟ قلت مكحول . قال : مولى أم عربي ؟ قلت : لا بل مولى . قال : فمن فقيه أهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران . قال : مولى أم عربي ؟ قلت : لا بل مولى قال فمن فقيه أهل خراسان . قلت الضحاك بن مزاحم . قال مولى أم عربي قلت لا بل مولى . قال فمن فقيه أهل البصرة ؟ قلت : الحسن وابن سيرين . قال موليان أم عربيان ؟ قلت : لا بل موليان

قال : فمن فقيه أهل الكوفة ؟ قلت : ابراهيم النخعي . قال : مولى أم عربي ؟ قلت لا بل عربي .قال هشام لولا قولك عربي لكادت نفسي تخرج

ولو أردنا ذكر الموالي الذين أخذ عنهم الفقه والعلم مع وجود قريش لطال القول

ولم تزل الامة الى يومنا هذا في المسائل المختلفة يرجحون المذاهب بالدليل ولم يرجح أحد مذهبا لنسب القائل . فالاعتبار للتقوى لا للنسب المجرد . ولو كان الترجيح بالنسب لامتنع جريان الخلاف بين غير النسيب مع النسيب والواقع بخلافه . وشرف العلم والتقوى فوق شرف النسب

٦ ـ بشارة النبي ﷺ به

قال الامام السيوطي : ذكر العلماء أن النبي ﷺ بشر بالامام مالك في حديث : « يوشك أن يضرب الناس أكباد الابل يطلبون العلم فلا يجدون أعلم من عالم المدينة » وبشر بالامام الشافعي في حديث : « لا تسبوا قريشاً فان عالمها يملأ الارض علما » . وبشر بالامام أبي حنيفة في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وهو : « لو كان العلم معلقاً عند الثريا لتناوله رجال من أبناء فارس »

وقال : هذا الحديث أصلٌ صحيحٌ يعتمدعليه في البشارة بأبي حنيفة وفي الفضيلة التامة له ، وهو نظير الحديثين السابقين اللذين قال العلماء عنهما: عالم المدينة في الحديث الاول: مالك . وعالم قريش في الحديث الثاني :الشافعي . وجزم الامام السيوطي بأن الامام أبا حنيفة هو المراد من الحديث الثالث لأنه لم يبلغ أحد في زمن أبي حنيفة من أبناء فارس في العلم مبلغه ولا مبلغ أصحابه .
وفي هذه الاحاديث معجزة للنبي ﷺ اذ أخبر بما سيقع

والى هذا الحديث الذى ورد في البشارة بأبي حنيفة أشار الامام الموفق فقال :

نعمانَ من أبناء فارسَ فارسٌ	للأسْد في غاب المناقبِ فارسُ
العلمَ لو فوق الثّريّا بيتهُ	لاستنزاته من الثريا فارسُ
سبقَ الخيولَ عرابُها لكنَّهُ	سبق العِرابَ اذا تحار بداعِسُ
مادارسٌ من كان دارس علمه	في عُمْرِهِ وهو الترابُ الدارسُ

ومما يصح الاستدلال به على عظم شأن أبي حنيفة ماروى عن النبي ﷺ أنه قال : ترفع زينة الدنياسنة خمسين ومائة . قال الامام البزازى : ان هذا الحديث محمول على أبي حنيفة لانه مات في تلك السنة

*

٧ — سبب طلبه العلم

حدث الامام عن سبب طلبه العلم قال : مررت يوما على الشعبي وهو جالس ، فدعاني وقال لى : الى من تختلف ؟ فقلت أختلف الى السوق ، فقال لم أعن الاختلاف الى السوق عنيت الاختلاف الى العلماء . فقلت له أنا قليل الاختلاف اليهم . فقال لى : لاتفعل وعليك بالنظر في العلم ومجالسة العلماء ، فاني أرى فيك يقظة وحركة . قال : فوقع في قلبي من قوله ، فتركت الاختلاف الى السوق وأخذت في العلم فنفعني الله تعالى بقوله

— علومه

أخذ الامام أبو حنيفة من العلوم بأوفر نصيب وبلغ فيها مبلغا يشار اليه بالأصابع . وناهيك به أنه سلم اليه علم النظر والقياس وإصابة الرأى حتى قالوا : —

« أبو حنيفة إمام أهل الرأى »

فأما العلوم الشرعية والعربية والأدبية والحكمية فكان في كل هذا بحرا لايجارى وإماما لايمارى

وله مسائل فقهية بنى فيها أقواله على علم العربية ومن تأملها يقضى بتمكنه من هذا العلم بما يبهر العقل . وله من الشعر البليغ

مايعجز عنه كثير من نظرائه . وأما القراءات فقد أفردوا بالتأليف قراءات انفرد بها وروها عنه بالاسانيد . وكان يحفظ القرآن الكريم وصح عنه انه كان يختم في رمضان ستين ختمة . وكان يقرأ القرآن كله في ركعة واحدة . وأما الفقه فقد ذكر الامام الشافعي : ان الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه . وأما الحديث فقد قال الامام أبو يوسف : ما رأيت أحدا أعلم بتفسير الحديث من أبي حنيفة ، كان بصيرا بعلل الحديث وبالتعديل والتجريح مقبول القول في هذا

وأنشد الامام أبو المؤيد : —

نعمان قد سبر العلوم بأسرها	حتى علا منها ذرى الأطوادِ
ثم انتهى منها إلى الفقه الذى	قدْ راح في الاغوار والأنجادِ
وَهداه لما لجّ في طلب الهدى	محمود فطنته إلى حمّاد
ثم انبرى من بعده يفتي الورى	حقا برغم معاطس الحُسّاد
لقد ارتقى في فقهه في قلّةٍ	هدمت معاهدها قوى الإلحاد
فِرَق الضلال حذَوْا اليه مطيّهم	فهداهمُ ولكل قوم هادِي

٩ — تبريزه فى علم الكلام والجدل

قال الامام : كنت رجلا أعطيت جدلا في الكلام ، فمضى ودهر فيه أتردد وبه اخاصم وعنه اناضل . وكان أكثر أصحاب

الخصومات والجدل بالبصرة . فدخلت البصرة نيفا وعشرين مرة ، منها ما أقيم سنة وأقل وأكثر وكنت قد نازعت طبقات الخوارج من الاباضية والصفرية وغيرهم ، وطبقات الحشوية . وكنت أعد الكلام أفضل العلوم لارتباطه بأصول الدين ولكني راجعت نفسي بعد ما مضى لي فيه عمر وتدبرت ، فعلمت ان المتقدمين من أصحاب النبي ﷺ والتابعين لم يكن يفوتهم شيء مما ندركه نحن وكانوا عليه أقدر وبه أعرف وأعلم بحقائق الأمور ، ثم لم ينتصبوا فيه مجادلين ولا منازعين ولم يخوضوا فيه بل أمسكوا عن ذلك ونهوا عنه أشد النهي ورأيت خوضهم في الشرائع وأبواب الفقه ، وكلامهم فيه . عليه تجالسوا وبه تخصموا وكانوا يعلمون الناس ويدعونهم الى التعلم وكانوا يطلقون الكلام والمنازعة فيه ويتناظرون عليه ويفتون فيما يستفتون . على ذلك مضى الصدر الاول من السابقين وتبعهم التابعون عليه . فلما ظهر لنا من أمورهم هذا الذي وصفنا تركنا المنازعة والمجادلة والخوض في الكلام ورجعنا الى ما كان عليه السلف وأخذنا فيما كانوا عليه

ومع ذلك فاني رأيت ممن ينتحل الكلام ويجادل فيه قوما ليس سيماهم سيماء المتقدمين ولا منهاجهم منهاج الصالحين . رأيتهم قاسية قلوبهم غليظة أفئدتهم لايبالون مخالفة الكتاب والسنة والسلف

الصالح ولم يكن لهم ورع ولا تقى ، فعلمت أنه لو كان في ذلك خير لتعاطاه السلف الصالح فهجرته ولله الحمد

١٠ ـ سبب اشتغاله بالفقه :

عن الامام زفر قال : سمعت أبا حنيفة يقول : كنت أنظر في الكلام حتى بلغت فيه مبلغاً يشار إلى فيه بالاصابع ، وكنا نجلس بالقرب من حلقة حماد بن سليمان ، فجاءتني امرأة يوماً فقالت رجل له امرأة أمة أراد أن يطلقها للسنّة كم يطلقها ؟ فأمرتها أن تسأل حماداً ثم ترجع فتخبرني ، فسألتْ حماداً فقال يطلقها وهي طاهر من الحيض والجماع تطليقة ثم يتركها حتى تحيض حيضتين فاذا اغتسلت فقد حلت للازواج : فرجعتْ فأخبرتْني فقلت لا حاجة لي في الكلام وأخذت نعلي فجلست إلى حماد ، فكنت أسمع مسائله فأحفظ قوله ، ثم يعيدها من الغد فأحفظ ويخطيء أصحابه فقال . لا يجلس في صدر الحلقة بحذائي غير أبي حنيفة ، فصحبته عشر سنين ، ثم اني نازعتني نفسي الطلب للرياسة فأحببت أن أعتزله وأجلس في حلقة لنفسى ، فخرجت يوما وعزمت أن أفعل ، فلما دخلت المسجد ورأيته لم تطب نفسى أن أعتزله فجئت فجلست معه . فجاءه في تلك الليلة نعي قريب له قد مات

بالبصرة و ترك مالا و ليس له وارث غيره فأمرني أن أجلس مكانه فما هو الا ان خرج حتى وردت على مسائل لم أسمعها منه. فكنت أجيب وأكتب جوابي ، فغاب شهرين ثم قدم فعرضت عليه المسائل وكانت ستين مسألة فوافقني في أربعين وخالفني في عشرين . فآليت على نفسي ألا أفارقه حتى يموت ، فلم أفارقه حتى مات

•أنبأ الهيثم بن عدي الطائي قال : قلت لابي حنيفة العلوم كثيرة ذات فنون فكيف وقع اختيارك على هذا الفن الذي أنت فيه وكيف وفقت له وليس علم أشرف منه . قال أخبرك أما التوفيق فكان من الله وله الحمد كما هو أهله ومستحقه إني لما أردت تعلم العلم جعلت العلوم كلها نصب عيني ،فقرأت فنا فنا منها و تفكرت في عاقبته وموقع نفعه فقلت آخذ في الكلام . ثم نظرت فاذا عاقبته عاقبه سوء ونفعه قليل ، واذا كمل الانسان فيه واحتيج اليه لا يقدر أن يتكلم جهارا ورمي بكل سوء ويقال صاحب هوى ، ثم تتبعت أمر الادب والنحو فاذا عاقبة أمره أن أجلس مع صبي أعلمه النحو والادب . ثم تتبعت أمر الشعر فوجدت عاقبة أمره المدح والهجاء وقول الهجر والكذب وتمزيق الدين . ثم تفكرت في أمر القراءات، فقلت اذا بلغت الغاية منها اجتمع الى أحداث يقرءون

علي و الكلام في القرآن و معانيه صعب ، فقلت أطلب الحديث ، فقلت اذا جمعت منه الكثير أحتاج الى عمر طويل حتى يحتاج الناس الي واذا احتيج الي لا يجتمع الا الاحداث ولعلهم يرمونني بالكذب أو سوء الحفظ فيلزمني ذلك الى يوم الدين

ثم قلبت الفقه فكلما قلبته أو أدرته لم يزدد الا جلالة ولم أجد فيه عيبا ، ورأيت أن الجلوس يكون مع العلماء و الفقهاء و التخلق باخلاقهم ورأيت انه لا يستقيم أداء الفرائض و إقامة الدين و التعبد إلا بمعرفته ، وطلب الدنيا والآخرة إلا به ، فاشتغلت به





بدء اشتغال الامام بالتدريس والافتاء — زيادة اقباله عليهما — ارتفاع شأنه — حسد الناس له — حفظه لسانه ـ من قدّر انه يسلم من ذم الناس فهو مجنون ـ أساتذة الامام ـ تلاميذه ـ بيان أنه تابعي ـ من أدركهم من الصحابة ـ خصائصه الاصول التى بنى عليها مذهبه

١١ ـ اشتغاله بالتدريس و الافتاء :

كان مفتي الكوفة والمنظور إليه في الفقه بعد موت إبراهيم النخعي : حماد بن أبي سليمان ، وقد انتهت اليه رياسة الكوفة العلمية و كان الناس به أغنياء فلما احتاجوا إلى من يسد مسدّه ، وخاف أصحابه أن يموت ذكره ويندرس العلم ، وكان لحماد ابن حسن المعرفة فأجمعوا عليه ، وجاءه أصحاب أبيه فاختلفوا اليه ، و كان الغالب عليه النحو وكلام العرب وأيام الناس والسمر ، ولكنهم لم يجدوا فيه غنى ، فأخذ المجلس موسى بن أبي كثير ، وجعل يجلس للناس و كانوا يحتملونه ولكنه لم يكن

بارعاً في الفقه إلا أنه لقي كبار المشايخ وجالسهم ثم خرج حاجاً ، فأجمع رأيهم على أبي بكر النهشلي وسألوه فأبي، وسألوا أبا بردة فأبي

قال داود الطائي : فقال أبو بكر النهشلي وأبو حصين ويزيد ابن أبي ثابت : ان هذا الخزاز حسن المعرفة وان كان حدثاً - يعنون أبا حنيفة لأنه كان تاجراً يبيع الخز - ولان شيخه حمادا أنابه عنه في التدريس لما ذهب الى البصرة كما سبق . فكلموه في أن يملأ الفراغ الذي حدث بموت شيخه حماد ، فأجاب طلبهم وقال ما أحب أن يموت العلم . وجلس للافتاء والتدريس . وكان رجلا موسراً سخياً ذكياً حسن المعرفة

قال أبو الوليد : فوجد الناس عنده ما لم يجدوه عند غيره ممن كانوا فوقه وممن هم من أقرانه ، ووجدوا عنده من كل أبواب الفقه نفاذا وعلماً غزيرا ، فلزموه وتركوا غيره ، ولم يزالوا يختلفون اليه حتى تخرج به أقوام صاروا أئمة في العلم . قال داود : فاختلفت اليه الطبقة العليا ، ثم اختلف اليه أبو يوسف ، وأسد بن عمرو ، والقاسم بن معن ، وزفر بن الهذيل ، والوليد بن ابان ، ومحمد بن الحسن ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، فكان أبو حنيفة يفقههم في الدين ، وكان شديد البر بهم والتعهد لهم

١٢ ـ زيادة نشاطه واقباله عليهما :

قال عبد العزيز بن خالد : سمعت الإمام أبا حنيفة يقول : كنت في أول الأمر لا أدخل في العلم هذا الدخول حتى رأيت في المنام كأني أنبش قبر النبي ﷺ وأستخرج عظامه وأؤلف بعضها على بعض ، فانتبهت من النوم وبي من الغم والكآبة ما الله به عليم ، وقلت : أنبش القبور !! وقد جاء في نبشها ما جاء ؟ ثم من بين القبور قبر النبي ﷺ فأمسكت عن الجلوس ولزمت البيت وتبين ذلك فيّ حتى عادني إخواني . فقال بعضهم لي : لقد رغبتنا في العلم وحرضتنا عليه ـ وانا نرى عروقك سالمة ولا نرى فيك أثر المرض فكيف هذا ؟ فأخبرته برؤياي . فقال تكون حبراً إن شاء الله . وقال ههنا صاحب لابن سيرين عالم بالرؤيا ندعوه لك فأتيته . فقال : هذه الرؤيا لك ؟ قلت أنا رأيتها . فقال : إن كان ما تقول حقاً لتعملن في إقامة السنة عملا لم يسبقك اليه أحد ، ولتدخلن في العلم مدخلا بعيداً . فلما سمعت ذلك اجتهدت في هذا العلم هذا الاجتهاد . اللهم اجعل عاقبته الى خير

وفي رواية أخرى أن الامام قال : كنت أجلس للتعليم وأصبر لاصحابي طرفي النهار مع المداومة . فرأيت ليلة فيما يرى النائم كأني أنبش قبر النبي ﷺ وأستخرج عظامه فأجمع بعضها على بعض

فأعظمني ذلك وأفزعني . فتركت المجلس وأرسلت رجلا أميناً ثقة الى ابن سيرين يسأله عن هذه الرؤيا ، فذهب الرجل وسأله فعبرها تعبيراً رجوت منه الخير نخف عني ما كنت أجده من تلك الرؤيا وعدت الى العلم والتعليم . قال يحيى بن نصر : ما الذي عبر ؟ قال الامام : السماع من غيري أحسن . قلت : على كل حال أحب أن أعلم . قال : صاحب هذه الرؤيا يحيي علماً قد أميت

١٣ ـ ارتفاع شأنه

شجع هذا أبا حنيفة وزاده نشاطاً ، فزاد اقباله على التدريس والافتاء ، وكثرت أصحابه حتى صارت حلقة درسه أوسع الحلقات في المسجد وأعظمها ، وعمل أشياء أعجزت غيره ، وتفوق على الجميع واستحكم له الامر فانصرف اليه وجوه الناس وأكرمه الخلفاء والامراء والحكام وأشراف الدولة ، وما زال شأنه في ارتفاع حتى استحكم له الامر ، ونشأ عن ذلك :

١٤ ـ حسد الناس له

وأخذ مخالفوه كابن أبي ليلى ، وابن شبرمه ، وشريك ، والثوري ، وغيرهم يتعقبونه ويطلبون شينه

ان العرانين تلقاها محسدة ولن ترى للئام الناس حسادا

ولا خلاك الله من حاسدٍ   فان خير الناس من يُحْسدَ

وصار خصومه يصغّرون من شأنه ويشوهون من سمعته ولكن

لو رجم النَّجمَ جميعُ الورى   لم يصل الرّجمُ الى النجم

وما تركوا شيئاً يظنون أن فيه اطفاء نور علمه وفضائله الا فعلوه ، وهيهات تكتم في الظلام مشاعلُ

لا يضر البحرَ أمسى زاخرا   أن رمى فيه صغيرٌ بحجر

وألّفوا في ذمه والانتقاص من قدره المؤلفات ، ولكنه ما بالاهم ولا عبأ بهم بل كان مثل بعضهم كمثل البعوضة التي نزلت على طود عظيم وظنت أنها أثقلته فقالت له: ان كنت أتعبتك فاخبرني لأطير عنك ؟ وقال لها : سيان عندي تطيرين أو تبقين ، فاني لم أحسّ بنزولك حتى أحسّ بطيرانك . . . وهكذا ذوو الارادة القويـة ، والعزيمـة الحديدية يمضون في طريقهم واعمالهم من غير أن يلووا على أحـد أو يقف في طريقهم شيء « ومَن يسدّ طريق العارِض الهطل ؟ »

٥ ٦ ـ حفظه لسانه

على الرغم مما أصاب أبا حنيفة من ذم الخصوم وكيد الحساد فقد كان حافظاً لسانه لا يذكر أحداً بسوء . عن الامام ابن دكين

قال : كان أبو حنيفة هيوبا لا يتكلم الا جوابا ، ولا يخوض فيما لايعنيه ، ولا يستمع اليه

وقال ابن المبارك ، قلت لسفيان الثوري يا أبا عبد الله ، ما أبعد أبا حنيفة عن الغيبة ! ما سمعته يغتاب عدواً قط . قال : هو والله أعقل من أن يسلط على حسناته ما يذهب بها

وعن ضمرة بن ربيعة قال : لم يختلف الناس أن أبا حنيفة مستقيم اللسان ، لم يذكر أحداً بسوء

وعن شريك قال : كان أبو حنيفة طويل الصمت ، كثير الفكر ، دقيق النظر في الفقه لطيف الاستخراج في العلم والعمل والبحث كثير العقل قليل المجادلة للناس قليل المحادثة لهم

وعن جعفر بن الربيع قال : أقمت مع أبي حنيفة خمس سنين فما رأيت أطول صمتاً منه

وعن أبي يوسف قال : قيل لأبي حنيفة أيّما أفضل علقمة أو الاسود ؟ فقال : والله ما قَدرى أن أذكرهما الا بالدعاء والاستغفار إجلالا لهما ، فكيف أفضّل بينهما ! وعن بكر بن جعفر قال : ربما دخل جاهل على أبي حنيفة فيقول : كان كيت وكيت . فاذا أكثر قال : دع ما أنت فيه ، ما تقول في كذا وكذا ؟ فيقطع عليه كلامه ويقول : إيا كم ونقل مالا يحبّ الناس من حديث الناس . عفا الله عمن قال فينا مكروهاً ورحم

الله من قال فينا جميلا ، تفقهوا في دين الله ودروا الناس وما قد اختاروا لأنفسهم فيحوجهم الله تعالى للعلم

وعن يزيد بن هارون قال : كان أبو حنيفة له فضل ودين وحفظ لسان وإقبال على ما يعنيه

وروي عن يزيد بن الكميت أن رجلا قال لأبي حنيفة حال المناظرة : يا مبتدع ، يا زنديق . فقال له أبو حنيفة : غفر الله لك ، الله يعلم مني خلاف ما قلت ، وهو يعلم أني ما عدلت به أحداً منذ عرفته ، ولا أرجو إلا عفوه ، ولا أخاف إلا عقابه . ثم بكى عند ذكر العقاب وسقط صريعاً . ثم أفاق ، فقال له الرجل : اجعلني في حلّ . فقال : كل من قال فيّ شيئاً من أهل الجهل فهو في حل . وكل من قال فيّ شيئاً مما ليس فيّ من أهل العلم فهو في حرج . فان غيبة العلماء تبقى شيناً بعدهم

وقيل له : الناس يتكلمون فيك ولا تتكلم في أحد ؟ قال : ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء

١٦ ــ المدح والذم

على النحو الذي ذكرناه سار أبو حنيفة فكان كما قال المتنبي .

أكبرُ نفسي عن جزاء بغيبة
وكل اغتياب جُهدُ من لا له جُهْدُ

وعلم أنه لا يسلم من ذم الناس أحد ، فاطرح المبالاة

بكلامهم واستعمل المبالاة بكلام الله تعالى ، وهذا هو العقل كله والراحة كلها . وهذا هو المثل الاعلى الذي يجب أن يكون مثل العلماء وأهل الكمال والفضيلة

ومما هو جدير بالذكر فيما يتعلق بمدح الناس وذمهم قول ابن حزم الآتي :

مَن قدّر أنه يسلم من طعن الناس وعيبهم فهو مجنون . ومن حقق النظر وراض نفسه على السكون الى الحقائق - وان آلمتها في أول صدمة - كان اغتباطه بذم الناس اياه أشد وأكثر من اغتباطه بمدحهم اياه . لان مدحهم اياه ان كان بحق وبلغه مدحهم له أسرى ذلك فيه العُجْب فأفسد بذلك فضائله ، وان كان بباطل فبلغه فسرّه فقد صار مسروراً بالكذب ، وهذا نقص شديد

وأما ذم الناس اياه ، فان كان بحق فبلغه فربما كان ذلك سبباً الى تجنبه ما يعاب عليه وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه الا ناقص ، وإن كان بباطل وبلغه فصبر اكتسب فضلا زائداً بالحلم والصبر ، وكان مع ذلك غانماً لأنه يأخذ حسنات من ذمه بالباطل فيحظى بها في دار الجزاء أحوج ما يكون الى النجاة بأعمال لم يتعب فيها ولا تكلفها وهذا حظ عظيم لا يزهد فيه الا مجنون . وأما ان لم يبلغه مدح الناس اياه ، فكلامهم وسكوتهم سواء ، وليس كذلك

ذمهم اياه لأنه غانم للأجر على كل حال بلغه ذمهم أولم يبلغه ولو لا قول الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الثناء الحسن « ذلك عاجل بشرى المؤمن » لوجب أن يرغب العاقل في الذم بالباطل أكثر من رغبته في المدح بالحق . ولكن اذا جاء هذا القول فانما تكون البشرى بالحق لا بالباطل ، فانما تجب البشرى بما في الممدوح لا بنفس المدح

ولله در القائل :

اذا ما سفيه نالني منه نائل
من الذم لم يحرج بموقفه صدري
أعود الى نفسي فان كان صادقا
عتبت على نفسي وأصلحت من أمري
والا فما ذنبي الى الناس ان طغى
هواها فما ترضى بخير ولا شر

١٧ ـ شيوخ الامام

ذكر الامام أبو حفص الكبير بعض مشايخ الامام أبي حنيفة فبلغوا أربعة آلاف . وقال غيره : انهم أربعة آلاف من التابعين فما بالك بغيرهم ؟ وضبطُ أسمائهم ونسبهم يحتاج الى مؤلف خاص ، واني أقتصر على التنويه بواحد من هؤلاء العلماء

كنموذج لمن أخذ العلم عنهم أبو حنيفة ، و هو الذي لازمه حتى تخرج به وهو :

حماد بن أبي سليمان

أفقه أهل زمانه . سئل أبو حنيفة : من أفقه من رأيت ؟ فقال : ما رأيت أفقه من حماد . وعن الصلت بن بسطام قال : كان حماد بن أبي سليمان يُفطّر في كل ليلة من شهر رمضان خمسين انساناً ، فاذا كان ليلة الفطر كساهم ثوبا وأعطاهم مائة مائة . وعن ابن السّماك قال : كلّم رجل حماد بن أبي سليمان في ابنه أن يحوّله من كتّاب الى كتّاب . فقال للذي كلّمه : انما يعطى المعلم ثلاثين درهما في كل شهر ، وقد أجرينا لصاحبك مائة ودع الغلام مكانه

ولما قدم أبو الزناد الكوفة والياً على الصدقات ، كلم رجل حماد بن أبي سليمان أن يكلم له أبا الزناد في رجل يستعين به في بعض أعماله . فقال له حماد : كم يؤمل صاحبك من أبي الزناد ؟ قال ألف درهم قال : فقد أمرت لك بخمسة آلاف درهم ولا أبذل وجهي له . فقال : جزاك الله خيراً . وعن الامام الشافعي قال : لا أزال أحب حماد بن أبي سليمان لشيء : بلغني أنه كان راكباً حماره فانقطع زره فمرّ على خياط ، فأراد أن ينزل اليه ليسوي زره فقال : والله لانزلتَ . فقام الخياط اليه وسوّى زره . فأدخل يده

وأخرج صرة فيها دنانير، فناولها الخياط ثم اعتذر اليه من قلتها وحلف أنه لا يملك غيرها . وفضائل حماد أكثر من أن نحيط بها هنا لانها تحتاج الى كتاب مفرد

١٨ — تلاميذه

استيعاب الآخذين عن الامام أبي حنيفة متعذر ولا يمكن حصره ، ولا نعلم أنه ظهر لامام من أئمة الاسلام من الأصحاب والتلاميذ مثل ما ظهر لابي حنيفة ، ولم ينتفع العلماء وجميع الناس بمثل ما انتفعوا به وباصحابه : في تفسير الآيات المشتبهة والمسائل المستنبطة والنوازل والقضاء والاحكام

وسأعرّف بأعيان أصحاب الامام بعد أن أنتهي من تاريخه ان شاء الله

١٩ — بيان أنه تابعي

الإمام أبو حنيفة من أعيان التابعين ، وداخل في قوله تعالى : « والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم » وصح كما قال الذهبي أنه رأى أنس بن مالك وهو صغير . وقال الحافظ ابن سعد في طبقاته : حدثنا أبو الموفق سيف بن جابر قاضي واسط قال : سمعت أبا حنيفة يقول : قدم أنس بن مالك الكوفة ونزل النخع وكان يخضب بالحمرة ، رأيته مراراً

والتابعي عند الاكثر من المحدثين كما قال الحافظ العراقي : من لقى الصحابي وإن لم يصحبه . وقال الحافظ ابن الصلاح : وهو الاقرب . وقال الحافظ النووي وهو الأظهر

وقال شيخ الإسلام والحافظ ابن حجر في فتاويه : أدرك الامام أبو حنيفة جماعة من الصحابة ، لأنه ولد بالكوفة سنة ثمانين من الهجرة ، وبها يومئذ من الصحابة : عبد الله بن أبي أوفى ، فانه مات سنة سبع وثمانين أو بعدها . وقد روى ابن سعد في طبقاته بسند لا بأس به : أن الامام أبا حنيفة رأى أنس ابن مالك ، وكان غيرُ هذين من الصحابة بعدّة بلاد أحياء . فالامام أبو حنيفة من أعيان التابعين كما قلنا ولم يثبت ذلك لأحد من أئمة الامصار المعاصرين له : كالأوزاعي بالشام والحمادين بالبصره ، والثوري بالكوفة ، ومالك بالمدينة ، والليث بن سعد بمصر

٢٠ — من أدركهم من الصحابة

اتفق المحدثون على أن أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا على عهد أبي حنيفة في الأحياء وإن تنازعوا في روايته عنهم :

الصحابي الاول

أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ انتقل الى البصرة

في خلافة عمر ليفقه الناس . وهو آخر من مات من الصحابة بها سنة ٩١ أو ٩٣ هـ . ولما مات كان عمر الامام ١١ أو ١٣ سنة وقد سبق أنه دخل البصرة أكثر من عشرين مرة ومكث بها سنة أو سنتين في كل مرة لمناظرة المعتزلة وأهل الاهواء

الصحابي الثاني

عبد الله بن أبي أوفى . شهد الحديبية وخيبر وما بعدها من المشاهد ولم يزل بالمدينة حتى قبض النبي ﷺ ثم تحول الى الكوفة . وهو آخر من مات من الصحابة بها في سنة ٨٦ أو ٨٧ فتكون سن الامام يوم مات هذا الصحابي ٦ أو ٧ سنوات . ويتحقق سماع أبي حنيفة منه وتصح الرؤية والرواية . فقد نقل الامام أحمد بن حنبل وغيره : أنه اذا عقل الصبيّ وضبط صح سماع الحديث وذكر الحافظ القاضي عياض : أن المحدّثين حدّوا صحة سماع الحديث بزمن أقله خمس سنوات . وقال ابن الصلاح التحديد بخمس سنوات هو الذي استقر عليه الامر عند أهل الحديث المتأخرين . فالمعتبر في صحة سماع الحديث هو أنه : متى كان الصبي مميزاً صح سماعه الحديث ولو كان أقل من خمس سنوات فاذا كان غير مميز ولو كان ابن خمسين سنة لا

يصح سماعه . إذاً فلا ينكر سماع أبي حنيفة من عبد الله بن أبي أوفى

الصحابى الثالث

سهل بن سعد الساعدي . مات في سنة ٨٨ أو ٩١ ه وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة

الصحابي الرابع

أبو الطفيل عامر بن واثلة مات بمكة سنة ١٠٢ ه وهو آخر من مات من الصحابة على وجه الارض ولم يبق بعده صحابي على وجه الارض

فحياة هؤلاء الاربعة من الصحابة في عهد أبي حنيفة متفق عليها بين أهل الحديث . . . وروى الامام السيوطي أن أبا حنيفة لقي من أصحاب رسول الله ﷺ سبعة وهم : أنس بن مالك ، وعبد الله بن أنيس ، وعبد الله الزبيدي ، وجابر بن عبد الله ، ومعقل بن يسار ، وواثلة بن الاسقع ، وعائشة بنت عجرد وعلى صحة هذا أنشد قاضي القضاة جمال الدين بن السراج :

أبو حنيفة زينُ العابدين روى

عن جابر وابن جزْء والرَّضيّ أنسْ

ومَعقِلٍ ، وحرَيثٍ ، وواثلةٍ

وبنت عجرد علم الطيبين قَبَسْ

وذكروا أن الامام روى أحاديث عن بعض هؤلاء الصحابة عن النبي ﷺ . ولكن لطعن بعضهم في صحتها تركنا ذكرها وأنكر بعضهم ملاقاة الامام مع بعض هؤلاء الصحابة الذين ذكرناهم . وأثبت بعضهم ذلك بالاسانيد الصحاح . والمثبت العالم العدل أولى من النافي وقد جمعوا مسندات الامام فبلغت خمسين حديثاً رواها الامام عن الصحابة . وإلى هذا أشار الامام بقوله : ما جاءنا عن الله ورسوله والصحابة فعلى الرأس والعين ، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال ، لانه ممن زاحم التابعين في الفتوى . اللهم إلا اذا كان التابعي زاحم في الفتوى الصحابي ، فانه يقلد ذلك التابعي كما يقلد الصحابي . وهذا سبب صالح لتقديم مذهب أبي حنيفة على المذاهب الاخرى

٢١ ـ خصائصه

اختص الامام أبو حنيفه عن غيره من الائمة بخصائص :

١ ـ إنه وُلد في زمن جماعةٍ كثيرةٍ من الصحابة ، ولا خلاف في ذلك فهو من أهل القرن الذين شهد لهم رسول الله

ﷺ بالخيرية ووصفهم بالعدالة

روى الشيخان ـ البخاري ومسلم ـ وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم » وروى مسلم وغيره عن رسول الله ﷺ أنه قال « خير الناس القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث »

وأنشد الامام أبو المؤيد :

غدا مذهبُ النعمان خيرَ المذاهبِ
كذا القمر الوضّاحُ خيرُ الكواكب
تفقّه في خير القرون مع التقى
ومذهبه لا شكَّ خيرُ المذاهب

٢ ـ وانه رأى بعض الصحابة ، وسمع منهم ، كما سبق عن رسول الله ﷺ قال « طوبى ، لمن رآني ولمن رأى من رآني ، ولمن رأى مَن رأى من رآني »

وروى أنه قال « لا يدخل النار مسلم رآني ، ولا مَن رأى من رآني »

٣ ـ وانه اجتهد في زمن التابعين ، وكان مقدما في الفتوى معظما في زمنهم :

روى القـاضي أبو القاسم قال : سمعت الأعمش يقول : اكتبوا المناسك من أبي حنيفة . فاني لا أعلم أحداً أعلم بفرضها ونفلها منه . وروي عن جرير قال : سمعت الأعمش وجاءه رجل يسأله عن مسألة فقال : عليك بأهل تلك الحلقة فانهم اذا وقعت لهم مسألة لايزالون يديرونها بينهم حتى يصيبوها (يعني حلقة الامام أبي حنيفة)

وروي أيضاً عن الاعمش أنه قال : ان أبا حنيفة لحسن المعرفة بعواضم الفقه الدقيقة وغوامض العلم الخفية

قال ابن عياش سمعت الامام أبا حنيفة يقول : صحبت الشعبي في السفينة فقال : لانذر في معصية ، ولا كفارة فيه . فقلت له بل فيه الكفارة لأن الله تعالى قد جعل في الظهار الكفارة بعد أن جعله معصية . فقال « وانهم ليقولون منكراً من القول وزورا » وقد أوجب الله تعالى فيه الكفارة . فلم يجد جوابا غير أن قال : أقياس أنت ؟

٤ ـ رواية الائمة الكبار عنه . قال أبو محمد الحارثي لو لم يستدل على فضل الامام أبي حنيفة الا برواية الكبار عنه ـ كعمرو ابن دينار فانه من شيوخ أبي حنيفة وكبار العلماء ـ لكفاه

٥ ـ إنه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من التابعين أو يزيدون

كما تقدم

دخل أبو حنيفة على الخليفة المنصور ـ وعنده عيسى بن موسى ـ فقال للمنصور : يا أمير المؤمنين هذا عالم الدنيا اليوم . فقال المنصور : يانعمان ، عمن أخذت العلم ؟ فقال عن أصحاب عمر ابن الخطاب ، عنه . وعن أصحاب عليّ ، عنه . وعن أصحاب عبد الله بن مسعود ، عنه . وما كان وقت ابن عباس على وجه الارض أعلم منه . فقال المنصور : بخ بخ ، لقد استوثقت لنفسك . فاشهد .

٦ ـ إنه اتفق له من الاصحاب ما لم يتفق لاحد من بعده من الائمة .

روى الخطيب عن ابن كدامة قال : كنا عند وكيع بن الجراح يوما فقال : هل أخطأ أبو حنيفة ؟ فقال وكيع : كيف يقدر أبو حنيفة أن يخطيء ومعه مثل أبي يوسف وزفر ومحمد في قياسهم واجتهادهم . ومثل يحيى بن زكريا بن أبي زائدة . وحفص بن غياث . وحبّان ومندل بن علي في حفظهم الحديث ومعرفتهم . ومثل القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود في معرفته باللغة والعربية . وداود بن نصير الطائي والفضيل بن عياض في زهدهما وورعهما ؟ فمن كان من أصحابه

وجلسائه هؤلاء لم يكن ليخطيء ، لأنه ان أخطأ ردّوه الى الحق .
ثم قال وكيع : والذي يقول مثل هذا كالأنعام بل هم أضل سبيلا
قال الفرزدق لجرير :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم

اذا جمعتنا ياجرير المجامعُ

٧ — إنه أول مَن دوّن علم الفقه ، ورتبه أبوابا ، ثم تابعه الامام مالك بن أنس في ترتيب الموطأ ، فلم يسبق أبا حنيفة أحد . لأن الصحابة والتابعين إنما كانوا يعتمدون على قوة حفظهم . فلما رأى أبو حنيفة العلم منتشراً خاف عليه فجعله أبوابا مبوّبة ، وكتباً مرتبة :

بدأ بالطهارة . ثم بالصلاة . ثم بالصوم . ثم سائر العبادات . ثم بالمعاملات . ثم ختم بالمواريث لأنها آخر أحوال الناس

وهو أول من وضع كتاب الفرائض . وأول من وضع كتاب الشروط . وروى القاضي أبو عبد الله الصيمري ، عن قاضي البصرة قال : نحن أبصر بالشروط من أهل الكوفة . فقلت له : إنّ الانصافَ بالعلماء أحسنُ ، إنما وضع هذا أبو حنيفة . فأنتم زدتم ونقصتم وحسنتم الألفاظ . ولكن : هاتوا

شروطكم وشروط أهل الكوفة قبل أبي حنيفة . فسكت ثم قال : التسليم للحق أولى من المجادلة في الباطل

وهو كما قال المتنبي :

امام رست للعلم في كنفه صدره

جبالٌ جبالُ الأرض في جنبها قفُّ

٨ — انتشار مذهبه في أقاليم ليس فيها غيره : الهند والسند والروم والترك وبلاد ما وراء النهر وغالب بلاد العجم وغير ذلك

٩ — إنه كان يأكل وينفق على أهل العلم وغيرهم من كسبه. ولم يقبل الجوائز

١٠ — إنه مات مظلوما محبوساً ساجداً

١١ — ما اشتهر وتواتر من عبادته وزهده وكثرة حجه واعتماره . رحمه الله تعالى ورضي عنه

٢٢ — الأصول التي بنى عليها مذهبه

روى الخطيب والقاضي الصيْمري عن الحافظ يحيى بن الضريسي قال :

شهدت سفيان الثوري ، وأتاه رجل له مقدار في العلم

و العبادة ، فقال له : يا أبا عبد الله ما تنقم من أبي حنيفة ؟ قال و ما له ؟ قال : قد سمعته يقول قولا فيه إنصاف : آخذ بكتاب الله تعالى ، فان لم أجد في كتاب الله تعالى فبسنة رسوله ﷺ . فان لم أجد في سنة رسول الله ﷺ : أخذت بقول أصحابه من شئت منهم وأدَعُ ما شئت وما أخرج عن قولهم الى قول غيرهم . فأما اذا انتهى الأمر وجاء الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيب - وعد رجالا - فقوم اجتهدوا ، فأجتهد كما اجتهدوا . قال فسكت سفيان . وعن الفضيل بن عياض قال كان أبو حنيفة اذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه ، وإن كان عن الصحابة والتابعين فكذلك ، و الا قاس فأحسن القياس . وروى الخطيب أيضا عن أبي حمزة السكري قال سمعت الامام أبا حنيفة رحمه الله تعالى يقول : اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ لم أعدل عنه الى غيره وآخذ به ، واذا جاء عن الصحابة تخيرت ، واذا جاء عن التابعين زاحمناهم

وعن أبي غسّان ، قال : سمعت إسرائيل يقول : كان نعمَ الرجل النعمان . ماكان أحفظه لكل حديث فيه فِقْهٌ وأشدَّ

تخصّصُ عنه . فأكرمه الخلفاء والأمراء والوزراء

وكان اذا ناظره رجل في شيء من الفقه أهمته نفسه

ولقد كان مسعر يقول : مَن جعل أبا حنيفة بينه وبين الله تعالى ، رجوت ألا يخافَ ولا يكون فرّط لنفسه

وعن الامام ابن المبارك قال : قال الامام أبو حنيفة : اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن قولهم ، واذا جاء عن التابعين زاحمناهم

وروى أبو عبد الله محمد في تاريخه عن نعيم بن عمر قال سمعت الامام أباحنيفة رحمه الله تعالى يقول : عجباً للناس يقولون أفتى بالرأي ، ما أفتى إلا بالأثر

وروى السمعاني والهروي عن نوح قال : قلت ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والاجسام . فقال : مقالات الفلاسفة . عليك بالأثر وطريقة السلف . وإياك وكل محدثة ، فانها بدعة

وروى الهروي عن الامام محمد بن الحسن قال : قال الامام أبو حنيفة : لعن الله عمرو بن عبيد فانه فتح للناس الطريق الى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام

وروى القاضي الصيمري عن القاسم التميمي قال :

وضعَ القياسَ أبو حنيفة كلّه
فأتى بأوضح حجّة وقياسِ

وبنى على الآثار أسَّ بنائِه
فأتتْ عوامضُه على الآساسِ

والناسُ يتَّبعون فيها قوله
لما استبان ضياؤه للناسِ

وعن الحسن بن زياد قال : قال الامام أبو حنيفة : رأْيُنا هذا أحسنُ ما قدرنا عليه ، فمن جاءنا بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منّا

وعنه أيضا قال : قال الامام أبو حنيفة ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله تعالى ومع سنة رسول الله ﷺ ، ومع ما أجمع عليه الصحابة . وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم أقْرَبَه الى كتاب الله والسنة ، ولا نجتهد . وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأي بوسع الفقهاء لمن عرف الاختلاف وقاس وعلى هـذا كانوا

وروى القاضي الصيمري عن أبي حنيفة عن الشعبي عن مسروق ، قال : من نذر نذراً في معصية فلا كفارة فيه . قال

أبو حنيفة : فقلت للشعبي ، قد جعل الله تعالى في الظهار الكفارة . وقد جعله معصية لأنه قال « وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً » فقال : أقيَّاسٌ أنت ؟

وعن المزني قال : سمعت الامام الشافعي رحمه الله تعالى يقول :الناس عيال على أبي حنيفة في القياس

وعن الامام ابن المبارك قال : ماتكلم أبو حنيفة بشيء إلا بحجة من كتاب الله تعالى ، أو سنة نبيه ﷺ

وروى القاضي الصيمري عن الحسن بن صالح قال : كان الامام أبو حنيفة شديد الفحص عن الناسخ والمنسوخ فيعمل به اذا ثبت عنده عن النبي ﷺ . وكان عارفا بحديث أهل الكوفة ، شديد الاتباع لما كان عليه الناس ببلده . وكان حافظاً لفعل رسول الله ﷺ الأخير الذي قبض عليه مما وصل الى أهل بلده

وعن الحافظ معمر بن راشد قال : ما أعرف رجلا يتكلم في الفقه ويسعه أن يقيس ويستخرج من الفقه أحسن معرفة من الامام أبي حنيفة . ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين الله من شك من أبي حنيفة

وعن ابن شبْرُمة قال : إن كان يجوز لأحد أن يتكلم في

دين الله تعالى برأيه فأبو حنيفة

وعن زهير بن معاوية قال : كنت عند الامام أبي حنيفة والابيض بن الاعز يقايسه في مسألة يديرونها بينهم . فصاح رجل من ناحية المسجد ظننته من أهل المدينة : ما هذه المقايسات، دعوها فأول من قاس إبليس . فأقبل عليه الامام أبو حنيفة ، وقال : ياهذا وضعت الكلام في غير موضعه . إبليس ردّ على الله تعالى أمره . قال سبحانه وتعالى : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » وقال تبارك وتعالى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون الا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين» وقال عز وجل « الا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » وقال « أأسجد لمن خلقتَ طينا ؟ » فاستكبر وردّ على الله تعالى أمره . وكل من ردّ على الله تعالى أمره فهو كافر . وهذا القياس الذي نحن فيه نطلب فيه اتباع أمرِ الله لأنا نردّه الى أمر الله تعالى في كتابه أو الى سنه سنّها رسول الله ﷺ ، أو الى اتفاق الصحابة والتابعين . فنجتهد في ذلك حتى نردّه الى كتاب الله تعالى أو الى سنة رسول الله ﷺ أو الى قول الائمة من أصحابه والتابعين . فاتبعنا أيضاً ـ في ردّنا الى كتاب الله وسنة رسوله والاجماع ـ أمرَ الله تعالى . قال الله تعالى « ياأيها الذين آمنوا

أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم ـ الى قوله تعالى ـ واليوم الآخر » فنحن ندور حول الاتباع فنعمل بأمر الله تعالى و إبليس حيث قاس خالف أمر الله تعالى وردّه فكيف يستويان ؟ فقال الرجل · غلطتُ يا أبا حنيفة وتبت ، فنوّر الله تعالى قلبك كما نوّرت قلبي

وعن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال : قال أبو حنيفة هذا الذي نحن فيه رأي لا نجبر عليه أحداً ، ولا نقول يجب على أحد قبوله . فمن كان عنده أحسن منه فليأت به نقلده

قال أبو محمد بن حزم : جميع أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس والرأي . وأنشد الامام أبو المؤيد :

ان الامام أبا حنيفةَ لم تذق
عيناه قط لذاذةَ الإغفاءِ
وعلى كتاب الله مذهبَه بنى
لله ثم السنةِ الغرّاءِ
ثم اجتماع المسلمين فانهم
نظروا بنور الحق في الظلْماءِ
ثم القياس على النصوص فانه
زهرٌ لأهل المِلّةِ الزهراءِ



حسن جوار أبي حنيفة ـ ثناء الأئمة عليه وعلى فقهه وتعظيمهم له ـ عبادته وقيامه الليل وكثرة قراءته القرآن كله في ركعة واحدة وكثرة تلاوته القرآن ـ خوفه ربه ومراقبته اياه كيف كان يقضي يومه ؟

---

٢٣ — حسن جوار أبي حنيفة

١ — كان الامام أبو حنيفة حسن الجوار حسن السّمت ، حسن العشرة ، والمواساة والاحتمال والمداراة . و كان له جار فاسق عوّاد مغنّ اذا جَنَّ الليل أقبل على لعبه و شغله . و كان أكثر صياحه وغنائه اذا ثمل وأصحابه :

أضاعوني وأيَّ فتى أضاعوا

ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ

حتى حفظنا عنه كل غنائه لكثرة ما كان يردّده . فأخذه الحرس من داره وهو سكران وحبسوه ، فافتقد أبو حنيفة صوته ، فقال : ما ذا فعل جارنا ؟ لقد فقدنا صوته . فقيل : أخذه الطوف

البارحة وحبسوه . فقال أبو حنيفة : قوموا بنا نسعى في خلاص جارنا، فان حق الجار واجب . وقد أوصى به جبريل محمداً ﷺ فقام وقمنا معه حتى أتينا مجلس الأمير . فلما بصر بأبي حنيفة قام الأمير وأخذ بيد أبي حنيفة ورفعه مكاناً علياً وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت لمحبوس عندك من جيراني أخذه الحرس البارحة وأسألك أن تطلقه وتهب لي جرمه . فقال الأمير : قد فعلت والجميع من معه في الحبس . هلاّ بعثت برسول حتى أقضي به حقك وأخرج عن واجبك. فجزاه أبو حنيفة خيراً . ثم بعث الى الحبس فأخرج كل من كان فيه ، وجيء بهم مع الفتى جار أبي حنيفة . فلما وقفوا بين يدي الأمير قال لهم : خليت سبيلكم لحرمة شيخي أبي حنيفة . فاشكروا له وادعوا . ففعلوا . ثم قال لهم اذهبوا . فقام أبو حنيفة وأخذ بيد جاره وقال له : هل أضعناك يا فتى ؟ قال : لا يا سيدي ومولاي لا تراني بعد اليوم أفعل شيئاً تتأذى به . ثم أخرج أبو حنيفة عشرة دنانير وأعطاها لجاره وقال له استعن بهذا المال على نقصان دخلك وقت الحبس ، ومتى كان لك حاجة فابسطها الينا واترك الحشمة فيما بيننا وبينك . ثم قال : ادخل على أهلك ليسرّوا بك . فقام الرجل وقبّل رأس أبي حنيفة ودخل منزله ، ثم اختلف الى درس أبي حنيفة وتفقه حتى صار من فقهاء الكوفة

٢ — حكى جار لأبي حنيفة قال : كنت جاراً لأبي حنيفة ولا أعلم أحداً كان أعلم به مني في كل أموره . فكنت أطلع من صلاحه وعفته وصيانته على أمور يجل وصفها ، الى ان رأيت ليلة في شهر رمضان فيما يرى النائم كأن أبا حنيفة جاء الى قبر النبي ﷺ فنبشه والناس ينظرون ولا يغير عليه أحد منهم ، ثم تناول من قبره كفوفاً كثيرة من تراب فنفخها في الهواء الى كل الجهات . فهالتني هذه الرؤيا وأعظمتها فخرجت الى البصرة لأسأل محمد بن سيرين . فسألته ، فرفع رأسه الي وقال : ويحك ! ان هذا الذي رأيت لرجل جليل ان كان فقيهاً أو عالماً . قلت فانه فقيه . قال : فوالله ليظهرن هذا الرجل من علم النبي ﷺ مالا يظهر الناس . وليذهبن اسمه بذلك شرقاً وغرباً وفي جميع النواحي . فرجعت إلي الكوفة فقال لي أبو حنيفة : أين كانت الغيبة ؟ قلت بالبصرة . قال سبحان الله ! أتذهب الى البصرة من غير علمي ؟ فلما ذا ذهبت اليها ؟ قلت من اجلك قال ولم ؟ فقصصت عليه القصة . فسر من عبارة ابن سيرين . فمقاساة هذا الرجل مشاق السفر ومتاعبه من الكوفة الى البصرة وبينهما مائة وعشرون فرسخاً بدون علم أبي حنيفة لجلب نفع أو لدفع ضر يدل على نهاية حسن جوار أبي حنيفة ومراعاته حقوق الجيران ، لأن الغالب

في حق الجيران التنافر والجفاء وستر المحاسن الظاهرة والبحث عن المساويء المستورة

٢٤ — ثناء الائمة عليه وعلى فقهه وتعظيمهم له

عن الامام الشافعي قال : قيل للامام مالك بن أنس : هل رأيت أبا حنيفة ؟ قال : نعم ، رأيت رجلا لو كلمك في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته

وقال الامام الشافعي أيضا : قلت لمالك ابن أنس : رأيت عثمان البتي ؟ قال : نعم . وكان رجلا مقاربا [1] . قلت : فرأيت ابن شُبْرُمَة قال : نعم . وكان له فصاحة وعلم . قلت ، فأبو حنيفة قال : سبحان الله ؟ لم أر مثله : تالله لو قال أبو حنيفة ان الاسطوانة من ذهب لاقام الدليل القياسي على صحة قوله

وقال ابن المبارك كنت عند مالك بن أنس ، فدخل عليه رجل ، فرفعه . فلما خرج قال : أتدرون من هذا ؟ قالوا : لا . قال هذا أبو حنيفة العراق . لو قال هذه الاسطوانة من ذهب لخرجت كما قال : لقد وفق له الفقه حتى ما عليه فيه من كبير مئونة

(١) المقاربة : المحادثة بكلام حسن ، وترك الغلو وقصد الصدق والسداد

قال : ودخل سفيان الثوري ، فأجلسه دون المجلس الذي أجلس فيه أباحنيفة . فلما خرج قال : سفيان . وذكر من فقهه وورعه . وروى الخطيب عن حرملة بن يحيى قال : سمعت الامام الشافعي يقول : من أراد أن يتبحر في الفقه ، فهو عيال على الامام أبي حنيفة . وكان أبو حنيفة ممن وفق له الفقه . وعن الربيع بن سليمان قال سمعت الامام الشافعي يقول : الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه : وعن الشافعي أيضا قال : ما رأيت أحدا أفقه من أبي حنيفة ، قال الخطيب : أراد بقوله « ما رأيت » ماعلمت فانه لم يدركه . وروى القاضي ابن كاس عن الامام الشافعي قال : من لم ينظر في كتب أبي حنيفة لم يتبحر في العلم ولم يتفقه. وعن حرملة قال : سمعت الشافعي يقول : كان أبو حنيفة وقوله في الفقه مسلم له فيه . وعن الامام سفيان بن عيينة قال : مامقلت عيني مثل أبي حنيفة وروى القاضي الصيمري قال : من أراد المغازي فالمدينة ومن أراد المناسك : فمكة . ومن أراد الفقه فالكوفة ، ويلزم أصحاب أبي حنيفة . وقال : العلماء أربعة : ابن عباس في زمانه ، والشعبي في زمانه ، وأبو حنيفة في زمانه ، والثوري في زمانه . وعن ابن المبارك قال : كان الامام أبو حنيفة أفقه الناس ، ما رأيت أفقه منه . وقال : ان كان أحد له أن يقول برأيه فأبوحنيفة ينبغى له أن يقول برأيه . وقال : كان أبو حنيفة آية . فقال له رجل : يأبا

عبد الله ، آيةٌ في الشرّ أو في الخير ؟ فقال : اسكت يا هذا ، فانه يقال : غاية في الشر ، وآية في الخير . ثم تلا قوله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية » وقال : إن كان الأمر قد عرف واحتيج إلى الرأي ، فرأي مالك وسفيان وأبي حنيفة ، وأبو حنيفة أحسنهم ، وأدقهم فطنةً ، وأغوصهم على الفقه ، وهو أفقه الثلاثة . وقال لولا أن الله أغاثني بأبي حنيفة وسفيان لكنت كسائر الناس . وروى القاضي ابن كاس عن عبد الله بن المبارك قال : قول أبي حنيفة عندنا كالأثر عن رسول الله ﷺ اذا لم نجد أثراً . وروى القاضي الصيمري عنه قال : اذا اجتمع سفيان وأبو حنيفة على شيء جعلتهما حجة فيما بيني وبين الله عز وجل فيما أفتي به من دينه . وعن منصور بن هاشم قال : كنا مع عبد الله بن المبارك فوقع رجل في أبي حنيفة فقال له ابن المبارك : ويحك ! أتقع في رجل صلى خمسا وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد ؟ وكان يجمع القرآن في ركعتين وتعلمت الفقه الذي عندي من أبي حنيفة ؟ وعن حِبان بن موسى قال : كان عبد الله بن المبارك يوما جالساً يحدث الناس . فقال : حدثني النعمان بن ثابت . فقال بعضهم . من تعني أبا عبد الرحمن ؟ فقال : أعني أبا حنيفة مخّ العلم . فأمسك بعضهم عن الكتابة . فسكت ابن المبارك هنيهة ، ثم قال : أيها الناس ، ما أسوأ أدبكم ،

وما أجهلكم بالائمة ، وما أقل معرفتكم بالعلم وأهله . ليس أحد أحق أن يقتدي به من أبي حنيفة ، لانه كان إماما تقياً نقياً ورعا عالماً فقيها ، كشف العلم كشفاً لم يكشفه أحد ، ذا بصر وفهم وفطنة وتقى ثم حلف ألا يحدثهم شهراً . وعن محمد بن بشر قال : كنت أختلف الى أبي حنيفة والى سفيان الثوري ، فآتى أبا حنيفة فيقول : من أين جئت ؟ فأقول من عند سفيان . فيقول: جئت من عند رجل لو أن علقمة والأسود حضرا لاحتاجا الى مثله . فآتى سفيان فيقول : من أين جئت ؟ فأقول من عند أبي حنيفة . فيقول : لقد جئت من عند أفقه أهل الارض . وعن أبي خالد الاحمر قال : كنت عند سفيان . فسئل عن مسألة في الطلاق فقال : لا يعلم الحيلة في هذه الا أبو حنيفة . وقال سفيان الثوري : إن الذي يخالف أبا حنيفة يحتاج الى أن يكون أعلى منه قدراً وأوفر علماً . وبعيداً ما يوجد ذلك . وعن بشر بن قيراط وكان شريك أبي حنيفة قال : حججت مع أبي حنيفة وسفيان فكانا اذا نزلا منزلا أو بلدة اجتمع عليهما الناس وقالوا : فقيها العراق . فكان سفيان يقدم أبا حنيفة ويمشي خلفه ، واذا سئل عن مسألة وأبو حنيفة حاضر لم يجب حتى يكون أبو حنيفة هو الذي يجيب . قال زائدة : رأيت تحت رأس سفيان كتابا ينظر فيه . فاستأذنته في النظر فيه ، فدفعه الى ، فاذا كتاب الرهن لأبي حنيفة فقلت

له : تنظر في كتبه ؟ فقال : وددت أنها كلها عندي مجتمعة أنظر فيها ما بقي من شرح العلم ، ولكننا لا ننصفه . وقال أبو يوسف : سفيان الثوري أكثر متابعة لابي حنيفة مني . وروى ابن كاس عن ابن المبارك قال : قلت لسفيان الثوري : ما تقول في الدعوة قبل الحرب . فقال إن القوم قد علموا ما يقاتلون عليه . فقلت : إن أبا حنيفة يقول فيها ما قد بلغك ! فنكس رأسه ، ثم رفعه فأبصر عيناً وشمالا فلم ير أحدا ، فقال : إن كان أبو حنيفة ليركب من العلم أحدَّ من سنان الرمح : كان والله شديد الأخذ للعلم ذابا عن المحارم ، متبعاً لأهل بلده ، لا يستحل أن يأخذ الا ما صح من آثار رسول الله ، شديد المعرفة بناسخ الحديث ومنسوخه وكان يطلب أحاديث الثقات ، والأخذ من فعل رسول الله ﷺ ، وما أدرك عليه علماء أهل الكوفة فى اتباع الحق أخذ به وجعله دينه . قد شنع عليه قوم فسكتنا عنهم بما نستغفر الله تعالى منه . وعن ابن المبارك قال : قدمت الشام على الامام أبي عمر الاوزاعي ، فرأيته ببيروت ، فقال : يا خراساني من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة؟ ـ يعني أبا حنيفة ـ فرجعت الى بيتي فأقبلت على كتب أبي حنيفة . فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل . وبقيت في ذلك ثلاثة أيام . فجئته في اليوم الثالث ، وهو مؤذِّنُ مسجدهم وإمامهم

والكتاب في يدي ، فقال : أي شيء هذا الكتاب ؟ فنظر في مسألة منها وقعت عليها « قال النعمان بن ثابت » . فما زال قائماً بعد أن أذن حتى قرأ صدر الكتاب حتى أتى عليها . فقال : يا خراساني : من النعمان بن ثابت هذا ؟ قلت : شيخ لقيته بالعراق . فقال : هذا نبيل من المشايخ . اذهب فاستكثر منه . فقلت هذا أبو حنيفة الذي نهيت عنه . وروى هذه القصة ابن حاتم الجرجاني عن ابن المبارك وزاد في آخرها : ثم التقى أبو حنيفة والاوزاعي بمكة ، فرأيته يجاري أبا حنيفة في المسائل التي كانت في الرقعة . ورأيت أبا حنيفة يكشف له تلك المسائل بأكثر مما كتبت عنه فلما . افترقا لقيت الاوزاعي بعد ذلك فقال : غبطت الرجل لكثرة علمه ووفور عقله ، وأستغفر الله ، لقد كنت في غلط ظاهر ، الزم الرجل فانه بخلاف ما بلغني عنه . وعن ابن جريج قال . بلغني عن النعمان فقيه الكوفة أنه شديد الورع ، صائن لدينه ولعلمه ، لا يؤثر أهل الدنيا على أهل الآخرة ، وأحسبه سيكون له في العلم شأن عجيب . وعن سعيد بن سالم قال : كثيرا ما كنا ندير مسائل أبي حنيفة عند ابن جريج ، فكان يستحسنها ، وكان محباً لأبي حنيفة كثير الذكر له . وروى أبو يحيى النيسابوري في مناقبه ، عن عمر بن هرون قال : ذكر أبو حنيفة عند ابن جريج فقال : اسكتوا . إنه لفقيه ، إنه لفقيه ، إنه لفقيه . وروى

القاضي ابن كاس قال : حدثنا أبو بكر المروزي قال : سمعت الامام أحمد بن حنبل يقول : لم يصح عندنا أن أبا حنيفة قال : القرآن مخلوق. فقلت الحمد لله يا أبا عبد الله هو من العلم بمنزلة فقال سبحان الله : هو من العلم والزهد والورع وإيثار الدار الآخرة بمحل لا يدركه فيه أحد ولقد ضرب بالسياط على أن يلي القضاء لأبي جعفر المنصور فلم يفعل. فرحمة الله عليه ورضوانه. وسئل يزيد بن هرون : أيهما أفقه، أبو حنيفة أو سفيان ؟ فقال : سفيان أحفظ للحديث، وأبو حنيفة أفقه. وعن الحافظ سجادة[1] قال : دخلت أنا وأبومسلم المسحلي على يزيد بن هرون، فقال له أبو مسلم ما تقول يا أبا خالد في أبي حنيفة والنظر في كتبه ؟ فقال : انظروا فيها إن كنتم تريدون أن تتفقهوا. فاني ما رأيت أحداً من الفقهاء يكره النظر في قوله. ولقد احتال الثوري في كتاب الرهن حتى نسخه. وقال رجل ليزيد بن هرون : يا أبا خالد، رأي مالك أحب اليك من رأي أبي حنيفة ؟ فقال : اكتب حديث مالك فانه كان ينتقي الرجال، والفقه صناعة أبي حنيفة وصناعة أصحابه، والفرائض كأنهم خلقوا لها

وعن تميم بن عطية قال : كنت عند يزيد بن هرون، فذكر أبوحنيفة، فقال فيه انسان. فأطرق طويلا. فقالوا : رحمك الله، حدثنا. فقال : كان أبو حنيفة تقياً نقياً زاهداً عالماً صدوق

(١) هو الحسن بن حماد

اللسان أحفظ أهل زمانه ، سمعت كل من أدركته من أهـل زمانه يقول : إنه ما رأى أفقه منه . وعن الامام الزاهد عبد الله بن داود قال : يجب على أهل الاسلام أن يدعوا لأبي حنيفة في صلاتهم . قال : وذكر حفظه عليهم السنن والفقه . وقال عبد الله بن داود : الناس في أبي حنيفة رجلان : حاسد وجاهل ، وأحسنهم عندي حالا الجاهل . وقال : من أراد أن يخرج من ذل العمى والجهل ويجد حلاوة الفقه فلينظر في كتب أبي حنيفة . وقال ابن حكيم : ما رأيت أفقه من أبي حنيفة . وعن الحافظ مكي بن ابراهيم شيخ البخاري قال : كان أبو حنيفة أعلم أهل زمانه وعن النضر بن شُميل قال : كان الناس نياما عن الفقه ، حتى أيقظهم أبو حنيفة بما فتقه وبينه ولخصه . وعن أبي يحيى الحِمَّاني قال : ما رأيت رجلا قط خيراً من أبي حنيفة . وقال أبو محمد الحارثي : ما ضممت أبا حنيفة الى أحد من أهل زمانه ممن لقيتهم وممن لم ألقهم في كل باب من أبواب الخير الا رأيت لابي حنيفة الفضل عليهم . وما لقيت أحداً قط أفضل منه ، ولا أورع منه ، ولا أفقه منه . وعن مِسْعَر بن كِدَام قال : من جعل أبا حنيفة بينه وبين الله تعالى رجوت ألا يخاف ، ولا يكون فرّط في الاختيار لنفسه . وقيل له : لم تركت رأي أصحابك وأخذت برأي أبي حنيفة ؟ فقال : أنا فعلت ذلك لصحة رأيه . فأتوا بأصحَّ

منه لا رغبَ عنه اليه . وقال : طلبنا مع أبي حنيفة الحديث فغَلَبنا ، فاخذنا في الزهد فبرع علينا ، وطلبنا معه الفقه فجاء منه ما ترون

وقال مِسْعَرٍ : ما أحسدُ أحداً بالكوفة الا رجلين : أبا حنيفة لفقهه ، والحسن بن صالح لزهده . وقال عيسى بن يونس : لا تتكلمن في أبي حنيفة بسوء ، ولا تصدِّقَنَّ أحداً يسيء القول فيه ، فانه والله ما رأيت أفضل منه ، ولا أفقهَ منه . وعن الامام الحافظ مَعْمَرَ بن راشد قال : ما أعرف رجلا يحسن يتكلم في الفقه ويسعه أن يقيس ويشرح الفقه أحسن معرفة من أبي حنيفه ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين الله شيئاً من الشك من أبي حنيفة . قال عبد الله الرازي مارأيت أحداً أفقه من أبي حنيفة ومارأيت أحداً أورع منه . وعن الحافظ الناسك أبي علي الفضل بن عياض قال : كان أبو حنيفة رجلا فقيها معروفا بالفقه مشهوراً بالورع ، واسع المال معروفا بالفضائل على كل من يطيف به ، متوفّراً على تعليم العلم بالليل والنهار ، كثير الصمت قليل الكلام حتى ترد مسألة في الحلال والحرام ، وكان محسناً يدل على الحق هارباً من السلطان

وقال أبو يوسف : اني ادعو لابي حنيفة قبل أبوي . وسمعت

أبا حنيفة يقول : اني لأدعو لحماد مع أبوي . وكان أبو يوسف اذا سئل عن مسألة أجاب فيها وقال : هذا قول أبي حنيفة ، ومن جعله بينه وبين الله تعالى فقد استبرأ لدينه . وكانوا يقولون : أبو حنيفة زيّنه الله تعالى بالفقه والعلم والعمل والسخاء والبذل وأخلاق القرآن التي كانت فيه . وقالوا : كان ابو حنيفة خلفاً عمن مضى ، وما خَلفَ على وجه الارض مثله . وسئل الاعمش عن مسألة فقال : انما يحسن هذا النعمان بن ثابت الخزّاز ، وانه بورك في علمه . وعن يحيى بن آدم قال : قلت للفضل بن موسى : ما تقول في هؤلاء الذين يقعون في أبي حنيفة ؟ قال : ان أبا حنيفة جاءهم بما يعقلونه وما لا يعقلونه من العلم فحسدوه . وعن الحافظ وكيع بن الجراح قال : مالقيت أحداً أفقه من أبي حنيفة ولا أحسن صلاة منه . وعن الحافظ الناقد يحيى بن مَعين قال : الفقهاء أربعة : أبو حنيفة وسفيان ومالك والاوزاعي . وروى أيضاً عنه قال : القراءة قراءة حمزة والفقه فقه أبي حنيفة على هذا أدركت الناس

وعن الامام محمد بن الحسن قال : كان أبو حنيفة واحد زمانه ولو انشقّت عنه الارض لانشقت عن جبل من الجبال في العلم والكرم والمواساة والورع والايثار لله تعالى مع الفقه والعلم .

وعن الحسن بن محمد الليثي قال : قدمت الكوفة فسألت عن أعبَد أهلها فدفعت الى أبي حنيفة ، ثم قدمتها وأنا شيخ فسألت عن أفقه أهلها فدُفعت الى أبي حنيفة . وعن ابن المبارك قال : رأيت الحسن بن عمارة آخذاً بركاب أبي حنيفة وهو يقول : والله ما أدركنا احداً تكلم في الفقه أبلغ ولا أبصر ولا أحضر جوابا منك ، وانك لسيد من تكلم في الفقه في وقتك غير مدافع وما يتكلمون فيك إلا حسدا . وعن الامام الناسك بشر ابن الحارث قال : اذا أردت الآثار - أو قال الحديث - فسفيان ، واذا أردت تلك الدقائق فأبو حنيفة ، وعن عبد الله ابن عوف قال : ابو حنيفة ليله عبادة . فقيل له انه يقول القول ثم يرجع عنه في غد . فقال ابن عوف : هذا دليل على ورعه لانه يرجع عن خطأ الى صواب ، ولولا ذلك لنصر خطأه ودافع عنه

وعن الحافظ عبد العزيز بن أبي داود قال : من أحب أبا حنيفة فهو سني ومن أبغضه فهو مبتدع. وعن خارجة بن مصعب قال : أبوحنيفة في الفقهاء كقطب الرحى ، وكالجهبذ الذي ينقد الذهب . وعن نوح بن أبي مريم قال : لم أر في الفقهاء أعلم من أبي حنيفة . وعن أبي معاوية الضرير قال : من تمام السنة حب

أبي حنيفة . وقال كان أبو حنيفة يصف العدل و يقول به ، و بين للناس سبل العلم و طرقه وشرح لهم معانيه و أوضح مشكلاته فمن بلغ في العلم مبلغه ، أو من يهتدي منه مثل ما اهتدى ، عظمت منة الله عليه و منته علينا . و عن اسد بن حكيم قل : لا يقع في ابي حنيفة الا جاهل او مبتدع

وعن ابي سليمان قال : كان ابو حنيفة سهل الله له هذا الشأن ـ يعني الفقه ـ وتبين له .. وكان يتكلم أصحابه في مسألة من المسائل ويكثر كلامهم وترتفع أصواتهم ويأخذون في كل فن . وأبو حنيفة ساكت . فاذا أخذ أبو حنيفة في شرح ما كانوا فيه سكتوا كأنه ليس في المجلس أحد . وفيهم الرتوت من أهل الفقه والمعرفة . وكان يتكلم أبو حنيفة يوما وهم سكوت ، فلما فرغ أبو حنيفة من كلامه قال واحد منهم : سبحان من أنصت الجميع لك . وقال أيضاً : كان أبو حنيفة عجماً من العجب و إنما رغب عن كلامه من لم يقو عليه . وعن نصر ابن على قال : قلت لابي عاصم : أبو حنيفة عندك أفقه أم سفيان ؟ قال : والله هو عندي أفقه من ابن جريج . ما رأت عيني رجلا أشد اقتدارا منه على الفقه . وعن الحافظ الناسك داود الطائي

أنه ذُكر أبو حنيفة عنده فقال : ذلك نجم يهتدي به الساري ، وعلم تقبله قلوب المؤمنين . وعن الفقيه يوسف بن خالد قال : كنا نجالس عثمان البتي بالبصرة ، فلما قدمنا الكوفة جالسنا أبا حنيفة ، فأين البحر من السواقي ؟ فلا يقول أحد يذكره انه رأي مثله ما كان عليه في العلم كلفة وكان محسوداً . وعن القاضي الحافظ شريك قال : كان أبو حنيفة طويل الصمت ، كثير التفكر ، دقيق النظر في الفقه ، لطيف الاستخراج في العلم والعمل والبحث ، يصبر على تعليمه وان كان الطالب فقيراً أغناه وأجرى عليه وعلى عياله حتى يتعلم . فاذا تعلم قال له : قد وصلت الى الغنى الأكبر معرفة الحلال والحرام . وكان كثير العقل ، قليل المجادلة للناس ، قليل المحادثة لهم . وعن خلف ابن أيوب قال : صار العلم من الله تبارك وتعالى إلى محمد ﷺ ثم منه الى أصحابه ، ثم صار الى التابعين ، ثم صار الى أبي حنيفة وأصحابه فمن شاء فليرض ومن شاء فليسخط . وعن جرير قال : كان المغيرة يلومني إذا لم أحضر مجلس أبي حنيفة ويقول لي الزمه ولا تغب عن مجلسه . فانا كنا نجتمع عند حماد فلم يكن يفتح علينا من العلم ما كان يفتح له . وعن عثمان بن أبي شيبة قال : سمعت أبي يقول جلس أبو حنيفة ها هنا في المسجد فتكلم بما

تكلم به فقال بعضهم : دعوه فما نرى أن كلامه يجاوز الجسر . قال أبي : فما أتت عليه الايام و الليالى الا قليلا حتى ضُرب اليه من الآفاق . وعن زفر قال : جالست أباحنيفة أكثر من عشرين سنة فلم أر أحداً أنصح للناس منه . ولا أشفق عليهم منه . باذل نفسه لله تعالى . أما عامة النهار فهو مشتغل في العلم والمسائل وتعليمها وفيما يسأل من النوازل وجواباتها ، وإذا قام من المجلس عاد مريضاً ، أو شيع جنازة أو واسى فقيراً ، أو وصل أخا أوسعى في حاجة . فاذا كان الليل خلا للعبادة والصلاة وقراءة القرآن . وكان هذا سبيله حتى توفي رحمه الله تعالى

قال زفر : من كان أنبل من أبي حنيفة ؟ كان حمولا صبوراً ، وكان من الورع وترك الغيبة على شيء عجز عنه الخلق . وعن الحارث بن مسلم قال : يوم من أبي حنيفة خير من عمر بعض أهل زماننا . وذلك أن علم أبي حنيفة نفع عامة الناس وعلم غيره لم ينتفع به كبير أحد . وعن هارون بن المغيرة قال : سمعتهم يقولون فى زمن أبي حنيفة طلب له نظير في زمن من الأزمنة فلم يوجد له نظير . وعن حازم المجتهد قال : كلمتُ أبا حنيفة في باب الزهد والعبادة واليقين والتوكل والاجتهاد ففسر لي كل باب منها على

حدة وميز بين كل فن تمييزاً ظاهراً ووجدته عالماً بهذه الأبواب عاملا بها . وكان إماما للفقهاء إماماً للزهاد إماما للعباد إماماً لأصحاب اليقين والتوكل والاجتهاد عارفاً بهذه الامور كلها ، والاكثار في النقل عن الائمة . وفيما ذكر كفاية ومقنع لمن عرف الحق وأنصف

٢٥ — خوفه ربه ومراقبته اياه

روى الخطيب عن أسد بن عمرو قال : كان يسمع بكاء أبي حنيفة بالليل حتى يرحمه جيرانه . وعن وكيع بن الجراح قال : كان والله أبو حنيفة عظيم الامانة ، وكان والله في قلبه جليلا كبيرا . وكان يؤثر رضا ربه تبارك وتعالى على كل شيء ، ولو أخذته السيوف في الله تعالى لاحتمل ، رحمه الله تعالى ورضي عنه رضا الابرار ، ولقد كان منهم . وعن يحيي بن معين قال : سمعت يحيي بن سعيد القطان يقول : جالسنا أبا حنيفة ، وسمعنا منه وكنت اذا نظرت اليه عرفت في وجهه أنه يتقي الله وعن القاسم بن معن : قام أبوحنيفة ليلة بهذه الآية « بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر » يرددها ويبكي ويتضرع . وعن

يزيد بن الكميت ـ وكان من خيار عباد الله تعالى ـ قال : كان أبوحنيفة شديد الخوف من الله تعالى . فقرأ بنا على بن الحسن ليلة في العشاء الآخرة : (إذا زُلزلت الارض زلزالها) وأبو حنيفة خلفه . فلما قضى الصلاة، وخرج الناس نظرت الى أبي حنيفة وهو جالس يتفكر ويتنفس ، فقلت أقوم لئلا يشتغل قلبه بي . فلما خرجت تركت القنديل ولم يكن فيه إلا زيت قليل . فجئت وقد طلع الفجر وهو قائم وقدأخذ بلحية نفسه وهو يقول « يا من يجزي بمثقال ذرة خيرٍ خيراً . ويامن يجزي بمثقال ذرة شرٍ شراً ، اجر النعمان عبدك من النار وما يقرب منها ، وأدخله في سعة رحمتك ، قال : فأتيت . فاذا القنديل يزهر ، وهو قائم . فلما دخلت قال لى : تريد أن تأخذ القنديل ؟ قلت قدأذنت الصلاة الغداة . قال : اكتم عليَّ مارأيت . وركم ركعتي الفجر وجلس : حتى أقيمت الصلاة وصلى معنا الغداة على وضوء أول الليل . وعن بكر العابد قال : رأيت أبا حنيفة يصلي ويبكي ويدعو ويقول : « رب ارحمني يوم تبعث عبادك ، وقني عذابك واغفر لى ذنوبي يوم يقوم الاشهاد » وعن عبد الرزاق ابن همام قال : كنت اذا رأيت أبا حنيفة رأيت آثار البكاء في عينيه وخديه رحمة الله تعالى عليه . وعن أبي الأحوص قال :

لو قيل لأبي حنيفة انك تموت إلى ثلاثة أيام ما كان فيه فضل شيء يقدر أن يزيده على عمله الذي كان يعمل . وعن مكحول قال : قال أبو حنيفة : لولا الحرج ما أفتيت الناس . أخوف ما أخاف أن يدخلني النار ما أنا عليه مقيم من الفتوى. وعن ابن دكين قال: سمعت أبا حنيفة يقول : من ابغضني جعله الله مفتياً . وعن يزيد ابن الكميت قال : سمعت رجلا يقول لأبي حنيفة : اتق الله . فانتفض واصفر وطأطأ رأسه ثم قال : يا أخي جزاك الله تعالى خيراً ما أحوج الناس كل وقت الى من يذكرهم الله تعالى وقت اعجابهم بما يظهر على ألسنتهم من العلم حتى يريدوا الله تعالى بأعمالهم . . اعلم أني ما نطقت بالعلم إلا وأنا أعلم أن الله عز وجل يسألني عن الجواب . ولقد حرصت على طلب السلامة . وفتح غلامه يوما رزمة خزف فاذا الاخضر والأحمر والأصفر . فقال الغلام : نسأل الله الجنة . فبكى أبو حنيفة حتى اختلج صدغاه ومنكباه وأمر بغلق الدكان ، وقام مغطى الرأس مسرعا . فلما كان من الغد جلست إليه فقال يا أخي . ما أجرأنا على الله تعالى يقول أحدنا نسأل الله تعالى الجنة ، وانما نسأل الله تعالى العفو . وعن أبي يوسف قال : سمعت أبا حنيفة يقول : ما اجترأت على الله تعالى مذ فقهت

وعن عمر بن ابراهيم قال : رأيت أبا حنيفة يتفكر ويتنفس الصعداء ، فقلت له : مالك رحمك الله . قال : مطلوب ويخاف .

وعن ابي جعفر البلخي الفقيه قال : بلغني أن أبا حنيفة كان إذا أشكل عليه مسألة واشتبهت عليه قال لاصحابه : ما هذا إلا لذنب أحدثته . فيستغفر وربما قام فتوضأ وصلى ركعتين ويستغفر . فتفرج له المسألة ، فيقول : استبشر . لاني رجوت أنه تِيبَ عليّ حتى أدركت المسألة . قال : فلما بلغ ذلك الفضل بن عياض بكى بكاء شديداً ثم قال : رحم الله أبا حنيفة ، إنما كان ذلك لقلة ذنوبه أما غيره فلا ينفعه ذلك لان ذنوبه استغرقته . وعن ابن خباب قال : رأيت منصور بن المعتمر وأبا حنيفة دخلا المسجد فقاما طويلا يتساران ويبكيان . ثم خرجا من المسجد . فقلت لابى حنيفة : ما بالكما أكثرتما البكاء ؟ قال : ذكرنا الزمان ، وغلبة أهل الباطل على أهل الخير ، فكثر لذلك بكاؤنا

وعن يحيي بن نصر القرشي قال : كان ابى صديقا لابى حنيفة ، فكنت ربما بت عنده بالليل فأراه يصلى الليل كله . وكنت أسمع وقع دموعه على الحصير كأنها المطر

وعن الليث بن خالد قال : كان أبوحنيفة أكثر صلاته بالليل فرأيته قام ليلة فقرأ القرآن كله . فلما بلغ « ألهاكم التكاثر » بقى

في قراءته كلما فرغ منها ابتدأ فيها فما زال دأبه ذلك حتى أصبح .
وعن ضمرة بن ربيعة قال : مارأيت رجلا أحسن سيرة في أمة محمد من أبي حنيفة

٢٦ – عبادته وقيامه الليل كله وكثرة صلاته بالليل وقراءته القرآن كله في ركعة واحدة وكثرة تلاوته القرآن

قال الحافظ الذهبي: قد تواتر قيامه الليل وتهجده وتعبده .
وعن يحيى الزاهد قال : كان أبو حنيفة لا ينام الليل . وروى الخطيب عن أسد بن عمرو قال : صلى أبو حنيفة فيما حفظ عليه : صلاة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة . فكان عامة الليل يقرأ جميع القرآن في ركعة واحدة . وكان يسمع بكاؤه في الليل حتى ترحمه جيرانه وحفظ عليه أنه ختم القرآن في الموضع الذي توفي فيه سبعة آلاف مرة . وعن عبد الله بن المبارك قال : ويحك ، تمم في رجل صلى خمساً وأربعين سنة خمس صلوات على وضوء واحد ، وكان يجمع القرآن في ركعتين في ليلة ، وتعلمت الفقه الذي عندي من أبي حنيفة . وعن أبي مطيع قال : كنت بمكة ، فما دخلت للطواف ساعة من ساعات الليل إلا رأيت أبا حنيفة

وسفيان في الطواف

عن حماد بن الامام أبي حنيفة رحمه الله قال: لما مات أبوحنيفة سألنا الحسن بن عمارة أن يغسله ، ففعل . فلما غسله قال: رحمك الله وغفر لك لم تفطر ثلاثين سنة . ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة . وقد أتعبت من بعدك ، وفضحت القراء

وعن أبي يوسف قال : بينما انا أمشي مع أبي حنيفة إذ سمع رجلا يقول لرجل : هذا أبو حنيفة ، لا ينام الليل . فقال أبو حنيفة : سبحان الله ألا ترى الله تعالى نشر لنا هذا الذكر ، أو ليس يقبح ان يعلم الله منا غير ذلك ؟ والله لا يتحدث الناس عني بما لا أفعل . فكان يحيي الليل صلاة ودعاء وتضرعا

وعن ابي يوسف ايضاً قال : كان ابوحنيفة يختم القرآن كل يوم وليلة ختمة . حتى إذا كان شهر رمضان ختم فيه مع ليلة الفطر ويوم الفطر اثنين وستين ختمة . وكان سخياً بالمال ، صبوراً على تعليم العلم ، شديد الاحتمال لما يقال فيه ، بعيد الغضب . وكان اصحابنا يقولون : انه يصلي الغداة على طهر اول الليل . شهدته انا عشرين سنة . وكان من صحبه قبلنا يقولون : إنه صلى الغداة بوضوء اول الليل اربعين سنة

وعن يحيى بن فضيل قال : كنت مع جماعة فأقبل ابو حنيفة

فقال بعضهم:ما ترونه لا ينام الليل . قال ومعهم ابو حنيفة فقال : أراني عند الناس بخلاف ما انا عند الله ، لا توسدت فراشاً حتى ألقى الله تعالى . قال يحيى فكان أبو حنيفة يقوم الليل حتى مات . وعن الامام مسعر بن كدام قال : دخلت ذات ليلة المسجد ورأيت رجلا يصلي ، فاستحليت قراءته . فقرأ سُبعاً ، فقلت يركع . ثم قرأ الثلث ثم النصف ، فلم يزل يقرأ القرآن حتى ختمه كله في ركعة . فنظرت فاذا هو ابو حنيفة

٢٧ — كيف كان يقضى أبو حنيفه يومه

وعن مسعر ايضاً قال : اتيت ابا حنيفة في مسجده فرأيته يصلي الغداة . ثم يجلس للناس في العلم إلى ان يصلي الظهر . ثم يجلس إلى العصر فاذا صلى العصر جلس إلى قريب المغرب . فاذا صلى المغرب جلس إلى ان يصلي العشاء . فقلت في نفسي هذا الرجل في هذا الشغل متى يتفرغ للعبادة ؟ لاتعاهدنه . فلما هدأ الناس : خرج الى المسجد وهو متعطر كأن رائحته رائحة عروس فانتصب للصلاة إلى ان طلع الفجر . ودخل منزله ولبس ثيابه وخرج الى المسجد وصلى الغداة فجلس الى

الناس الى الظهر ثم الى العصر . ثم الى المغرب . ثم الى العشاء . فقلت في نفسي : ان الرجل قد ينشط الليلة . لا تعاهدنه . فلما هدأ الناس خرج ، فانتصب للصلاة وفعل كفعله في الليلة الاولى . فلما أصبح خرج الى الصلاة وفعل كفعله في يومه . حتى اذا صلى العشاء قلت في نفسي : ان الرجل ينشط الليلة والليلتين . لا تعاهدنه الليلة . ففعل كفعله في ليلته. فلما أصبح جلس كذلك . فقلت لالزمنه الى أن أموت أو يموت . فلازمته في مسجده قال : فما رأيت أبا حنيفة بالنهار مفطرا . ولا بالليل نائماً . وكان يخفق قبل الظهر خفقة . قال ابن ابي معاذ : فبلغني أن مسعرا مات في سجوده في مسجد أبي حنيفة

وعن يحي بن النضر قال : كان أبو حنيفة ربما ختم القرآن في شهر رمضان ستين ختمة

وروى الخطيب عن أبي الجويرية قال : لقد صحبت حماد ابن أبي سليمان وعلقمة بن مرثد ومحارب بن دثار وعون بن عبد الله وصحبت أبا حنيفة وهو حدث . فلم يكن في القوم أحسن ليلا من أبي حنيفة لقد صحبته ستة أشهر : فما رأيته وضع جنبه فيها على الارض. وعن علي بن زيد الصدائي قال : رأيت أبا حنيفة ختم

القرآن في شهر رمضان ستين ختمة: ختمة بالليل وختمة بالنهار . وعن بعض أصحاب أبي حنيفة قال كان أبو حنيفة اذا أراد أن يصلي من الليل تزين وسرح لحيته . كان أبو حنيفه قبل الدخول في الصلاة يدعو ويبكي . وعن أبي نعيم الفضل قال : كنت إذا رأيت أبا حنيفة رأيته مثل الشَّنّ البالي : (القربة الخلقة) من العبادة . وعن أبي الوليد قال : اختلفت الى أبي حنيفة سبع عشرة سنة فرأيته يصلي الغداة على وضوء أول الليل . وما رأيت أحرص منه على علم يعمل به ويعلمه الناس . وعن عبد الله بن أسيد قال : كان أبو حنيفة إذا دخل شهر رمضان تفرغ لقراءة القرآن . فاذا كان العشر الاواخر فقلّما يوصل الى كلامه . وعن محمد بن القاسم الاسدى قال: صلى أبو حنيفة الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة . وروى الامام الذهبي عن أم حميد حاضنة ولد أبي حنيفة قال : قالت لي أم ولد ابي حنيفة : ما توسد أبو حنيفة فراشاً بليل مد عرفته وانما كان نومه بين الظهر والعصر في الصيف . وبالليل في مسجده أول الليل في الشتاء . وعن الحسن بن محمد قال : من جالس أبا حنيفة حقر الرجال بعده . ومن نظر الى ابي حنيفة رحمه من اصفرار وجهه ونحافة جسمه مما يجتهد في العبادة . وعن عبد المجيد ابن أبي داود قال: مارأيت أصبر على الطواف والصلاة والفتيا

بمكة من أبي حنيفة ، أنما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة لنفسه والنجاة للمعاد . صبوراً على تعليم من يجيئه ويطلب العلم لقد شاهدته عشر ليال فما رأيته نام بالليل ولا هدأ ساعة من نهار في طواف وصلاة أو تعليم علم

وروى الفاضل الكردي في المناقب أن الامام أبا حنيفة حج خمسا وخمسين حجة قال : وذكر الهمداني في الخزانة : أن الامام أبا حنيفة لما حج حجة الوداع شاطر بماله مع السدنة واستخلى الكعبة . فقام على رجل وقرأ نصف القرآن . ثم قام على رجله الاخرى وختم النصف الثاني وقال: يارب. عرفتك حق المعرفة وما عبدتك حق العبادة . فهب لي نقصان الخدمة لكمال المعرفة فنودي من زاوية البيت : عرفْتَ فأحسنتَ المعرفة . وخدمتَ فأخلصت الخدمة . غفرنا لك ولمن كان على مذهبك الى قيام الساعة

٢٨ ـ أبو حنيفة يرفض مناصب الدولة

عرض الخلفاء والولاة والأمراء مناصب الدولة على الامام أبي حنيفة فأبى أن يتولى واحداً منها ، فضربوه وعذبوه وحبسوه على هذا الاباء ، فأصر عليه ، حتى انه مات مسجونا من جراء امتناعه من أن يتولى القضاء

ويدل على هذا مايأتي :

١ ـ روى الخطيب عن الربيع بن عاصم قال : أرسلني يزيد ابن هبيرة ـ والى العراقين لمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ـ فقدمت بأبي حنيفة فأراده على بيت المال، فأبى . فضربه أسواطا

٢ ـ وعن أبي حفص الكبير وغيره قالوا : كان ابن هبيره واليا على العراق في زمن بني أمية فظهرت الفتنة بالعراق . فجمع ابن هبيرة فقهاء العراق ببابه فيهم : ابن أبي ليلى ، وابن شُبْرمة ، وداود بن أبي هند . وغيرهم . فولى كل واحد منهم شيئا من عمله ، وأرسل إلى أبي حنيفة ليكون على خاتمه ، ولا ينفذ كتاب إلا من تحت يد أبي حنيفة . ولا يخرج شيء من بيت المال إلا من تحت يد أبي حنيفة ، فامتنع ابو حنيفة . فحلف ابن هبيرة إن لم يفعل ليضربنه . فقال له جماعة هؤلاء الفقهاء : إنا ننشدك الله أن تمتلك نفسك فانا إخوانك وكلنا كارهٌ لهذا الامر ، لم نختره ولم نجد بدا من ذلك . فأبى وقال : لو أرادني أن أعد له أبواب المسجد لم أفعل ، فكيف وهو يريد أن يكتب بضرب عنق رجل مسلم وأختم أنا على ذلك الكتاب . فوالله لا أدخل في هذا أبدا . فحبسه صاحب الشرط جمعتين لم يضربه ثم ضربه أربعة عشر سوطا

وفي رواية أنه ضرب أياما متوالية . فجاء الضارب الى ابن هبيرة فقال : ان الرجل ميت . فقال : قل له يخرجنا من يميننا فسأله فقال : لوسألني أن أعد له أبواب المسجد مافعلت . دعوني أستشر اخوانى في ذلك . فاغتنم ابن هبيرة ذلك فأمر بتخليته . فركب دوابه وهرب الى مكة (وكان هذا في سنة مائة وثلاثين) فاقام بمكة الى ان صارت الخلافة لبني العباس . فقدم أبو حنيفة الكوفة في زمن أبي جعفر المنصور فأكرمه وأجله وأمر له بعشرة آلاف درهم وجارية . فأبى ابو حنيفة أن يقبل ذلك

٣ — وروى الخطيب عن عبد الله بن عمرو قال : كلم ابن هبيرة أبا حنيفة في ان يلى قضاء الكوفة فابى ، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط في كل يوم عشرة أسواط ، وهو على الامتناع فلما رأى ذلك خلى سبيله

٤ — وعن القاسم بن معن قال : أخذ ابن هبيرة أبا حنيفة على ولاية القضاء فأبى فحبسه . فقيل لأبي حنيفة انه لا يخرجك حتى تلي له ولاية ، وانه يريد بناء ، فتولَّ له عد اللبِن . فقال : واللهلوسألني أن أعد له أبوابَ المسجد مافعلت . وعن يحيى الحمانى قال : كان أبو حنيفة كل يوم أو بين الايام يضرب ليدخل في القضاء فيأبى . ولقد بكى في بعض الايام ، فلما اطلق قال : كان غمّ والدتى أشد علىّ من الضرب

٥ — وروى أبو أحمد العسكرى أن ابن هبيرة أمر بضربه على رأسه ، فانتفخ رأسه من الضرب فأمر باطلاقه . وذكر انه رأى رسول الله ﷺ في النوم وهو يقول له : أما تخاف الله تعالى ؟ تضرب رجلا من أمتى بلا جُرم . وهدّده فأرسل اليه فأخرجه واستحله

٦ — وعن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال : مررت مع أبي بالكناسه فبكى . فقلت له يا أبت مايبكيك ؟ قال : يابنى في هذا الموضع ضرب ابن هبيرة جدَّك عشرة أيام في كل يوم عشرة أسواط على أن يلى القضاء فلم يفعل

٧ — وعن اسماعيل بن سالم قال : ضُرب أبو حنيفة على القضاء فلم يقبل . وكان الامام أحمد بن حنبل بعد أن ضُرب يتذكر حال أبى حنيفه ويترحم عليه

٨ — ولما مات ابن أبي ليلى وأُخبر بذلك أبو جعفر المنصور قال : لقد خلت الكوفة من حاكم عدل . ثم أمر بحمل أبي حنيفة . وسفيان . ومِسعر . وشريك . وكانوا جلوسا بعد صلاة الصبح . فبعث أمير الكوفة إلى كل واحد رجلا فأخذوهم وبعث بهم إلى أبي جعفر المنصور فقال أبو حنيفة « أنا أخمّن تخمينا : أما

أنا فأحتال وأتخلص ، وأما مِسعر فيتجانن ، وأما سفيان فيهرب ، وأما شريك فيقع » فساروا . فلما كان بقرب بغداد أظهر سفيان أنه يريد قضاء الحاجه . فذهب ليقضيها، وجلس الموكل به ينتظره وأبصر سفيان سفينة فقال للملاح : ان مكّنتني من سفينتك و لا أذبح . تأول قول رسول الله ﷺ من جعل قاضيا فقد ذُبح بغير سكين . ودفع للملاح دراهم وهرب معه في السفينة . فاستبطأه الموكل به فبحث عنه فلم يجده فهرب

فلما دخلوا على أبي جعفر تقدم اليه مِسعر فقال لأبي جعفر : هات يدك ، كيف أنت وأولادك ودوابك ؟ فقال أخرجوه فانه مجنون ، وعرض على أبي حنيفة توليه القضاء فأبى عليه . فحلف ليفعلن . فحلف أبو حنيفة ألا يفعل . فحلف المنصور ليفعلن فحلف أبو حنيفة ألا يفعل . فقال الربيع لأبي حنيفة : ألا ترى أمير المؤمنين يحلف . فقال أبو حنيفة أمير المؤمنين أقدر على كفارة يمينه منى على كفارة يمينى فأمر بحبسه ثم دعا به فقال : أترغب عما نحن فيه ؟ فقال : أصلح الله أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين اتق الله ، ولا تشرك في أمانتك من لا يخاف الله ، والله ما أنا مأمون الرضا ، فكيف أكون مأمون الغضب ، فلا أصلح لذلك . فقال كذبت أنت تصلح لذلك فقال يا أمير المؤمنين قد حكمتَ على

نفسك . ان كنتُ صادقا فقد أخبرت أمير المؤمنين اني لا أصلح وان كنت كاذبا فكيف يحل لك أن تولى قاضيا كذابا ؟ ومع ذلك فاني رجل مولى . ولا تكاد العرب ترضى بأن يكون عليهم مولى . فأمر به الى السجن

وعرض على شريك ذلك فقبله . فهجره الثورى وقال : أمكنك الهروب فلم تهرب

ومن هذه الحادثة نعرف شدة فراسة أبي حنيفة وشدة ذكائه فان ما أخبر به اصحابه قد وقع كما قال

وانه أبى أن يتولى منصبا من مناصب الدولة ، وانه ضرب على القضاء وما فعل حتى توفي . ثم اختلفوا بعد ذلك : فمن الناس من يقول ان الامام مات من الضرب ومنهم من يقول انه سُقى السم فمات لأن العباسيين كانوا يظنون انه ليس معهم فتكون السياسة قاتلها الله هى السبب في موته

٢٩ ـ ملابسه

كان الامام أبو حنيفة حسن الثوب ، جميل الرؤاء ، كثير التعطر يعرف بريح الطيب اذا خرج من بيته أو اذا أقبل

قال النضر بن محمد : كان أبو حنيفة جميل الوجه ، سري الثوب عطراً ، أتيته في حاجة فصليت معه الصبح وعليّ كساء ، فأمر باسراج بغلته وقال : اعطني كساءك وخد كسائي . ففعلت . فلما رجع قال لي : يا نضر أخجلتني بكسائك . قلت وما أنكرته منه ؟ قال : هو غليظ . قال النضر وكنت اشتريته بخمسة دنانير وأنا به معجب . ثم رأيته بعد هذا وعليه كساء قوّمته بثلاثين ديناراً

وعن أبي مطيع قال : رأيت على أبى حنيفة يوم جمعة برداً وقميصاً قومتهما بأربعمائة درهم . وقال أبو هند الوراق : رأيت أبا حنيفة وعليه ثياب من صوف . وقال أبو يوسف : رأيت على أبى حنيفة ثعالب وفنكا وهو يصلي ، ورأيت عليه السنجاب . وقال يحيي بن النضر : كان أبو حنيفة لبّاساً له جبه فنكا ، وجبة سنجابا ورأيت عليه برداً عليه علم . وقال ابو مقاتل : كان لأبي حنيفة سبع قلانس إحداهن سوداء

٣٠ ـ آدابه ومواعظه

لأبى حنيفة من الحكم والمواعظ والآداب ما نعرف بعضه من الآتى :

قال عبد الله بن مهيب : كان أبو حنيفة النعمان بن ثابت يتمثل كثيراً بهذين البيتين:

عَطاء ذي العرش خيرٌ من عطائكمُ
وسيبُه واسعٌ يرجَى ويُنتظَرُ
أنتم تُكَدِّرُ ما تعطون مِنّتُكم
والله يُعطي بلا مَنٍّ فلا كَدَرُ

وقال أبو يوسف : كان أبو حنيفة كثيراً ما يتمثل بهذا البيت :

كفى حزَناً أن لا حياةَ هنيئةٌ
ولا عمل يرضَى به الله صالحُ

وقال زُفر ، قال أبو حنيفة : من طلب الرياسة قبل وقتها عاش في ذُلّ

وقال أبو يوسف ، قال أبوحنيفة : رأيت المعاصي مذلة فتركتها مروءة فصارت ديانة

وقال زفر : سمعت أبا حنيفه يقول : من لم يمنعه العلم عن المحارم ، ولم يحجزه عن المعاصى فهو من الخاسرين .

وقال ابن دُكين : سمعت أبا حنيفة يقول : ان لم يكن أولياء الله تعالى في الدنيا والآخرة العلماء ، فليس لله وليّ

وقال أبو يوسف : سئل أبو حنيفة بعد صلاة الصبح عن

مسائل ، فأجاب عنها ، فقيل له : أليس كانوا يكرهون الكلام في مثل هذا الوقت الا بخير ؟ فقال أبو حنيفة : وأي خير أكثر من أن يقول هذا حلال وهذ حرام ، ينزه الله تعالى ، ويحذّر الخلق من معاصيه ؟ ان الجراب اذا فرغ منه الزاد ضاع صاحبه

وسئل أبو حنيفة عن علي ومعاوية وقَتْلى صِفّين فقال : اذا أقامني الله بين يديه يوم القيامة لايسألني عن شيء من أمور الناس ، وانما يسألني عما كلفني به فالاشتغال بذلك أولى

وقال أبو حنيفة : من تعلم العلم للدنيا حرم بركته ولم يرسخ في قلبه ولم ينتفع به كثير أحد . ومن تعلمه للدين بورك له فيه ورسخ في قلبه وانتفع المقتبسون منه بعلمه . وقال امام أهل بلخ الحسن بن محمد : سمعت أباحنيفة يقول : أعظم الطاعات الايمان بالله تعالى ، وأعظم المعاصي الكفر بالله تعالى . فمن أطاع الله عز وجل في أعظم الطاعات وانتهى عن أعظم المعاصي رجوت له الغفران فيما يأتي بين ذلك

وقال أبو حنيفة مثل الذي يطلب الحديث ولايتفقه كمثل الصيدلاني يجمع الادوية ولا يدري لأي داء هي

وقال أبو جعفر المنصور لأبي حنيفة : لم لاتغشانا ياأبا حنيفة فقال : لانك اذا قربتني فتنتني ، وليس عندي ما أخافك عليه ،

وانما يغشاك من يخشاك

وقال محمد بن الحسن : ان أبا حنيفة قال لعيسى بن موسى أمير الكوفة :

كسرةُ خبزٍ وقعبُ ماء

وفرْد ثوبٍ مع السلامه

خيرٌ من العيش في نعيم

يكون من بعده ندامه

وقال ابن المبارك : قال ابو حنيفة : من اراد ان ينجو من عذاب الله تعالى في الآخرة فلا يبالي بعذاب الدنيا ، ومن كرمت عليه نفسه هانت عليه الدنيا وكل شدة فيها

وقال مساور الوراق : قال ابو حنيفة : من قطع عليك حديثك فلا تفده فانه قليل المحبة في العلم والأدب

وقال الامام : لاتجمع الذنوب لحبيبك والاموال لبغيضك : فالحبيب النفس والبغيض الوارث

وقال جعفر بن الأحمر سألت أبا حنيفة في مسألة ، فأجابني فقلت لايزال هذا المصر بخير ما أبقاك الله فيه . فقال :

خلتِ الديارُ فسدتُ غير مُسَوّدِ

ومن العناءِ تفرُّدي بالسّوددِ

وقال بعض أصحاب أبي حنيفة له : ان أمير المؤمنين دعاني ، وان دخلت عليه لم يسعني إلا أن آمر وأنهى ، فاجمع لي كلمات أكلمه بها فتكون أمراً ونهياً فقال أبو حنيفة اذا دخلت عليه فسلم والزم السكوت فان الكلام لهم . فان سألوك عن شيء وكان عندك جوابه فأجب ، وان لم يكن فقل : يا أمير المؤمنين انما تطلب الدنيا لأربع خصال : تطلب للشرف أنت شريف ابن شريف ابن عم رسول الله ﷺ وتطلب للملك وأنت قد ملكت العرب والعجم . وتطلب للمال وقد رزقكم الله ما لا يحصى . فاتق الله ياأمير المؤمنين وعليك بالعمل الصالح واتق ما نهاك عنه تكن قد جمعت الدنيا والآخرة

٣١ ـ كرمه ومواساته

كان أبو حنيفة أبر الناس بأصحابه ، وأكرمهم مجالسة ، ولا يكاد يسأل عن حاجة الا قضاها . وقديماً قالوا : ان ذوي الشرف أتم عقولا وكرما من غيرهم

قال جعفر بن حمزة : ربما مر الرجل بأبي حنيفة فيجلس اليه لغير قصد ولا مجالسة فاذا قام سأل عنه . فاذا كانت به فاقة وصله وإن مرض عاده حتى يجره الى مواصلته

وقال الحسن بن زياد : رأى أبو حنيفة على بعض جلسائه ثيابا رثة ، فأمره فجلس حتى تفرق الناس وبقي وحده ، فقال له : ارفع المصلى وخذ ما تحته فغير به حالك ، فرفع الرجل المصلى فكان تحته ألف درهم

وقال اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة ان أبا حنيفة حين حفظ حماد ابنه سورة الحمد وهب للمعلم خمسمائة درهم ، وفي رواية : الف درهم ، فقال المعلم : ما صنعت حتى أرسل الي هذا ، فأحضره واعتذر اليه فقال : ماهذا الا مستحقراً فيما علمتَ ولدي ، والله لو كان معنا أكثر من ذلك لدفعناه اليك تعظيما للقرآن

وعن قيس بن الرّبيع قال : كان أبو حنيفة يبعث بالبضائع الى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويحملها الى الكوفة . ويجمع الأرباح عنده من سنة الى سنة . فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وقوتهم وكسوتهم وجميعَ حوائجهم . ثم يدفع باقى الدنانير من الأرباح اليهم . فيقول : أنفقوا في حوائجكم . ولا يُحْمَدُ الا اللهُ تعالى . فاني ما أعطيتكم من مالي شيئاً . ولكن من فضل الله تعالى فيكم . وهذه أرباح بضاعتكم . فانه هو والله مما يُجْريه الله تعالى لكم على يدي . وعنه أيضاً كان أبو حنيفة كثير

الصلة والبرّ لكل مَن لجأ اليه . كثيرَ الافضال على إخوانه .
وعن وكيع بن الجراح قال : قال لي أبو حنيفة ما ملكت أكثر
من أربعة آلاف دِرْهم منذُ أكثر من أربعين سنة الا أخرجته .
وإنما أمسكتها لقول عليّ رضي الله تعالى عنه : أربعة آلاف وما
دونها نفقة . ولولا أن أخافَ أن أحتاج الى هؤلاء ما تركت
منها دِرْهما واحداً

وعن الامام سفيان بن عُيَيْنة قال : كان أبو حنيفة كثير
الصدقة . وكان كلُّ مالٍ يستفيده لا يدع منه شيئاً الا أخرجه
وقَدْ وجَّه اليَّ هدايا استوحشت من كثرتها . فشكوت ذلك الى
بعض أصحابه فقال : لو رأيت هدايا بعث بها الى سعيد بن أبي
عروبة . . وما كان يدع أحداً من المحدّثين إلاّ بَرّه برّاً واسعاً

وعَنْ مِسْعَر قال : كان أبو حنيفة اذا اشترى لعياله شيئاً
أنفق على شيوخ العلماء مثل ما أنفق على عياله . وإذا اكتسى
ثوباً فعل كذلك . واذا جاءت الفاكهة والرطب وكل شيء يريد
أن يشتريه لنفسه ولعياله لا يفعل ذلك حتى يشتري لشيوخ العلماء
مثله ويشتري بعد ذلك لعياله . وعن أبي يوسف قال : كان
أبو حنيفة شديد البرِّ لكل مَن عرف . وكان يهبُ للرجل خمسين
ديناراً أو أكثر . فاذا شكره بحضرة قوم غمّه ذلك وقال :

اشكرِ الله تعالى . فانما هو رزقٌ ساقه‌الله تعالى إليك

وعن إسحق بن إسرائيل قال : سمعت أبي يقول : كان أبو حنيفة جواداً يواسي أصحابه المواساة الكثيرة . ويبرُّهم في الاعياد ويرسل الى كل واحد منهم قدر منزلته . ويزوّج من احتاج اليه . و ينفق عليه من عند نفسه . ويقوم بحوائجهم .

وعن أبي يوسف قال : ما رأيت أجود من أبي حنيفة فكنت أقول ما رأيت أجود منك . فيقول : لو رأيت حمّادا . . . قال : وكان أبو حنيفة يعولني وعيالي عشر سنين . وما رأيت أحداً أجمع للخصال المحمودة منه . وعن الحسن بن سليمان قال : مارأيت أحداً أسخى من أبي حنيفة . كان قد أجرى على أصحابه كل شهر جراية ، سوى ما كان يواسيهم به في عامه .

وعن سفيان بن ابراهيم قال : كنت مع أبي حنيفة في طريق نعود مريضا . فرآه رجل من بعيد . فاختبأ منه وأخذ في طريق آخر .

فصاح به أبو حنيفة : أي فلان . عليك بالطريق الذي انت فيه لاتأخذ في طريق آخر . فلماعلم الرجل أن أبا حنيفة بَصُرَ به خَجل ووقف . فقال له أبو حنيفة : لم عدلتَ عن طريقك الذي كنتَ عليه . قال : لك عليّ عشرةُ آلاف درهم ، وقد طال على الوقت

وامتد . ولم أقدر أن أؤدى . فلما رأيتك استحيَيْتُ منك .
فقال له أبو حنيفة : سبحان الله بلغ بك الأمر كل هذا حتى اذا
رأيتنى تواريت عنى . . . قد وهبت لك مثل ذلك كله .
وأشهدت على نفسى . فلا تتوارى من بعـد هذا . واجعلنى في
حل مما دخل في قلبك مني حيث لقيتني . قال شقيق فعلمت انه
زاهد حقيقي

وعن الفضيل بن عياض قال : كان أبو حنيفـة معروفا
بكثرة الافضال وقلة الكلام . وإكرام العلم وأهله

وعن شريك قال : كان أبو حنيفة يصبر على من يعلّمه ،
وإن كان فقيراً أغناه وأجرى عليه وعلى عياله حتى يتعلم . فاذا
تعلم قال له : قد وصلت الى الغِنى الأكبر بمعرفة الحلال والحرام
وعن علي بن الجعد قال : أُهدِيَ الى أبي حنيفة ألف نعل ففرقها
على إخوانه . فلما كان بعد ذلك أراد أن يشتري نعلا . فقيل له :
ما فعلتَ بتلك النّعال ؟ قال ما دخل منها بيتي شيء وهبتها كلها
لأصحابنا وعن زيادة بن الحسن قال : أهدى أبي الى أبي حنيفة
منديلا شراؤه ثلاثة دراهم فقبله وعوّضه قطعة خَزّ قيمتها خمسون
درهما .

وأهدى عُبيد الله بن عُروة الى أبي حنيفة شيئـا من

الفواكه مما يكون عنده . فبعث اليه بمتاع مرتفع كثير القيمة

وعن عبد الله بن بكر السَّهمي قال : خاصمني الجَّمال في طريق مكة في شيء . فجرَّني الى أبي حنيفة . فسألنا . فاختلفنا عليه في السؤال . فقال : الاختلاف في كم ؟ فقال الجمال : أربعون درهما . فقال أبو حنيفة : ذهبت المروءة من الناس فاستحييت منه . ووزن أبو حنيفة للجمَّال أربعين درهماً

وعن يحيى بن خالد قال : حبس ابراهيم ابن عيينة بسبب دين لزمه وهو أكثر من أربعة آلاف درهم . فقام بعض اخوانه فجمع له من الناس . وصار الى أبي حنيفة : فقال أبو حنيفة : كم دينه ؟ قال : أكثر من أربعة آلاف درهم ، قال : فهل أخذت من أحد شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : رد ما أخذت على من أخذت منه ، وأنا أقضي جميع ماعليه من الدين . .

وعن السعدي الكوفي قال : أهديت الى أبي حنيفة هدايا ، فكافأني بأضعاف ذلك ، فقلت له : لو علمت أنك تفعل مثل هذا لم أفعل مافعلت ، فقال لاتفعل مثل هذا ، فان الفضل للسابق والبادىء ، ألم تسمع الى ماحدثنى به الهيثم عن أبي صالح ، بلغ به النبي ﷺ أنه قال « من صنع اليكم معروفاً فكافئوه ، فان لم تجدوا ماتكافئونه به فأثنوا عليه » فقلت : هذا الحديث أحب

الي من جميع ما أملك . وعن وكيع بن الجراح قال : جاء رجل الى أبي حنيفة فقال احتجت الى ثوبين أريد أن تحسن الي بهما ، فاني أريد أن أتجمل بهما عند رجل قد صاهرني : فقال له : اصبر جمعتين ، فصبر ، ثم عاد ، فقال : عُد الي الغد ، فجاء فأخرج له ثوبين : قيمتهما أكثر من عشرين دينارا ، ومعهما دينار ، فقال : بعثت بضاعة باسمك الى بغداد فبعتُ ورفعت لك هذين الثوبين فجاء رأس المال الينا ودينار . فان قبلت ذلك والا بعتهما وتصدقت عنك بثمنهما و الدينار

وعن أبي يوسف قال : كانوا يقولون : أبو حنيفة زينه الله تعالى بالعلم والعمل والسّخاء والبذل وأخلاق القرآن التى كانت فيه

٣٢ ـ ورعه وزهده وأمانته

عن بكر بن ابراهيم قال : جالست الكوفيين فلم أر فيهم أورع من أبي حنيفة

وعن ابن دُكَين قال : كان أبو حنيفة حسن الديانة عظيم الأمانة

وسئل محمد بن مقاتل عن سفيان وأبي حنيفة فقال : ليس من هرب فنجا كمن ابتلى فصبر .

وعن ابن المبارك قال : قدمت الكوفة فسألت عن أزهد أهلها . فقيل : أبو حنيفة .

وعن الحسن بن صالح قال : كان أبو حنيفة شديد الورع ، هائباً للحرام ، تاركا لكثير من الحلال مخافة الشبهة ما رأيت فقيها أشد ديانة منه لنفسه ولعلمه ، وكان جهاده كلّه إلى قبره

وعن ابن المبارك قال : أراد أبو حنيفة أن يشتري جارية فمكث عشرين سنة يختار ويشاور من أيّ سَبْيٍ تُشترَى

وعن يزيد بن هرون قال : كتبتُ عن ألف شيخ حملت عنهم العلم ما رأيت فيهم أشد ورعا من أبي حنيفة ولا أحفظ لاسانه منهم

وعن الحسن بن زياد قال : والله ما قبل أبو حنيفة جائزة ولا هدية .

وعن على بن حفص البزاز قال : كان حفص بن عبد الرحمن شريك أبي حنيفة . فبعث إليه أبو حنيفة بمتاع وأعلمه أن في ثوب كذا وكذا عيباً فاذا بعته فبيّنْ . فباع حفص المتاع ونسي أن يبين ، ولم يعلم ممن باعه . فلما علم أبو حنيفة تصدق بثمن المتاع كلّه وكان ثلاثين ألفَ درْهم . وفاصل من شريكه .

وعن وكيع قال : كان أبو حنيفة قد جعل على نفسه ألا يحلف بالله تعالى في عرض كلامه و إلا تصدق بدرهم . فحلف . فتصدق به . ثم جعل على نفسه إن حلف أن يتصدق بدينار . فكان إذا حلف صادقا في عرض كلامه تصدق بدينار

قيل لأبي حنيفة : تُعرَضُ عليك الدنيا فتعرِض عنها ولك عيال ! فقال : الله تعالى للعيال . وإنما قُوتي أنا في الشهر درهمان فما جمعي لمن يسألني الله تعالى عن الجمع لهم ان أطاعوه تعالى أو عصوه . فان رزق الله تعالى غادٍ ورائح على العاصين والمطيعين . ثم قرأ : « وفي السماء رزقكم وما توعَدُون » .

وعن خارجة بن مصعب قال : خرجت الى الحج ، وخلفت جارية لى عند أبي حنيفة وكنت أقمت بمكة نحو أربعة أشهر فلما قدمت قلت لأبي حنيفة كيف وجدت خدمة هذه الجارية ؟ فقال : من قرأ القرآن ، وحفظ على الناس دينهم ، وعلّم الحلال والحرام يحتاج أن يصون نفسه عن الفتنة . والله مارأيت جاريتك منذ خرجتَ الى ان رجعتَ . قال فسألت الجارية عنه وعن أخلاقه في منزله فقالت : ما رأيت وما سمعت مثله . ما رأيته اغتسل في ليل ولا نهار من جنابة . ولقد كان يوم الجمعة يخرج فيصلي صلاة الفجر ثم يدخل الى بيته فيصلي صلاة الضحى صلاة خفيفة وذلك انه كان يبكر الى الجامع فيغتسل غسل الجمعة ويمسّ

شيئا من دهن ثم يمضي الى الصلاة . وما رأيته يفطر بالنهار قط وكان يأكل آخر الليل ثم يرقد رقدة خفيفة ثم يخرج الى الصلاة

وعن وكيع قال : كنت عند أبي حنيفة فجاءت امرأة بثوب خزّ . فقالت بعه لى . فقال : بكم قيل لك تبيعينه ؟ قالت بمائة درهم قال هو خير من ذلك . قالت تهزأ بي؟ قال : هاتي رجلا . فجاءت برجل فاشتراه بخمسمائة درهم

وعن عبد الله بن صالح قال : قال رجل للحكم بن هشام أخبرني عن أبي حنيفة . قال : كان أعظم الناس أمانة . وأراده السلطان على مفاتيح خزائنه او يضرب ظهره فاختار عذابه على عذاب الله . قال : مارأيت احداً يصف ابا حنيفة كما وصفته . قال : هو والله كما قُلت

وعن ابي حنيفة قال : لولا الفرَقُ من الله تعالى ان يضيع العلم ما أفتيت أحداً ، يكون لهم الهناء وعلي الوزر ؟

وعن الفيض بن محمد قال : لقيت أبا حنيفة ببغداد ، فقلت : إني أريد الكوفة .فهل من حاجة ؟ فقال : ائت ابني حماداً فقل له : يابني إن قوتى في الشهر درهمان فمرة للسويق ومرة للخبز وقد حبسته علي فعجّلْهُ عليّ . قلت : هذا حال محنته وهو ببغداد . رضي الله تعالى عنه

وعن عبد الله بن المبارك قال : وقعت الى الكوفة أغنام من الغارة واختلطت بغنم أهل الكوفة . فسأل أبو حنيفة كم تعيش الغنم ؟ فقالوا : سبع سنين . فترك أكل لحم الغنم سبع سنين .

ورأى بعض الجند أكل لحماً ورمى فضلته في نهر الكوفة فسأل عن عمر السمك فقيل له كذا وكذا . فامتنع من أكل السمك تلك المدة

وقال الامام القشيري الشافعي :

كان أبو حنيفة لا يجلس في ظل شجرة غريمه ويقول : كل قرض جرّ منفعة فهو رباً

وعن يزيد بن هارون قال ما رأيت رجلا أورع من أبي حنيفة . رأيته يوماً جالساً في الشمس عند باب انسان فقلت له يا أبا حنيفة لو تحولت الى الظل فقال : لى على صاحب هذه الدار دراهم ولا أحب أن أجلس في ظل فناء داره ، قال يزيد : فأي ورع أكثر من هذا ؟

وعن يحيي بن أبي زائدة أنه مر بأبي حنيفة وهو جالس فى الشمس وبقربه دار فسأله بالله لم امتنع من هذا الظل ؟ فقال : لى على صاحب هذه الدار مال . فكرهت أن أستظل بظل حائطه فيكون ذلك جر منفعة ــ وما أراه على الناس واجباً ــ

ولـكن العالم يحتاج الى أن يأخذ لنفسه من علمه بأ كثر ممايدعو الخلق اليــه

٥

وفور عقل الامام ـ فراسته ـ ذ كاؤه ـ أجوبته المسكته

٣٣ — وفور عقــل الامام

مما يتفرع على كمال العقل : ثقوب الرأي ، وجودة الفطنة ، وحسن السياسة والتدبير ، ومجاهدة الهوى ، واتباع الفضائل ، واجتناب الرذائل . ولقد بلغ الامام من وفور العقل ما جعله يستنبط مذهباً وما جعل الامام الشافعي يقول : ماقامت النساء عن رجل أعقل من أبي حنيفة . وذُكر أبوحنيفة عند هارون الرشيد يوماً فترحّم عليه وقال : كان ينظر بعين عقله ما لا يراه غيره بعين رأسه . وقال ابن المبارك : ما رأيت رجلا أعقل من أبي حنيفة . وقال علي بن عاصم : لو وُزن عقل أبي حنيفة بنصف عقل أهل الأرض لرجح بهم . وقال خارجة بن مصعب : لقيت ألفاً من العلماء فوجدت العاقل منهم ثلاثة ، وذكر أبا حنيفة في هؤلاء الثلاثة . وقال الامام أبو يوسف : ما صاحبت أحداً يقدر

أن يقول إنه رأى أكمل عقلا أو أتم مروءة من أبي حنيفة

وروى القاضي ابن كاس أن أبا حنيفة كان جالساً في المسجد فسقط في حِجْره من السقف حيّة عظيمة . فما تغيّر ولا تحوّل بل قال : « لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا » وأخذها بيده اليسرى ورمى بها عنه

٣٤ ـ فراسته

كان أبو حنيفة ينظر الى الانسان فيعرف ما في نفسه بشدّة فراسته ، وكان بمجرد معاشرته لشخص يعرف مايؤول اليه أمره ويحدّثه عما يحصل له في مستقبله . فكأنه كان يقيس مستقبله على ماضيه ، على حد قول الحكيم :

اذا اختفى ما في الزمان الآتي

فقس على الماضي من الأوقات

أو على حد قول الآخر :

ولا علم لي بالغيب الا طليعة

من الحزم لا يخفى عليها المغيّبُ

ولقد بلغ من حسن فراسته وصدقها أنه قال لداود الطائي : أنت تتخلى للعبادة ، وقال لأبي يوسف : أنت تميل الى الدنيا ، وقال لزفر وغيره كلاماً . فكان كما قال

وقال اسماعيل بن أبي حنيفة : كان لنا جار طحّان رافضي ، وكان له بغلان سمّى أحدهما : أبا بكر ، والآخر عمر . فرمح ذات ليلة أحدهما فقتله . فأُخبر أبو حنيفة فقال : أنظروا البغل الذي رمح هل هو الذي سماه عمر ؟ فنظروا ، فكان كما قال . وقيل لأبي حنيفة : كيف رأيت غلمان أهل المدينة ؟ قال ان أفلح منهم أحد فالأشقر الأزرق ، يريد : مالك بن أنس . ولقد صدق في فراسته ، فان مالكا بلغ من العلم مرتبة لم يبلغها أحد من أهل المدينة في عصره

وقد ذكرنا فيما سبق صدق فراسته في نفسه وفي سفيان الثوري ومسعر وشريك لما حملوا الى المنصور وأراد أن يوليهم القضاء . فانه أخبر أنه يحتال لنفسه ، وان سفيان يهرب في الطريق وأن مسعرا يتجانن ، وأن شريكا يقع وقد حصل كل ما أخبر به

وقال محمد بن ابراهيم الفقيه : كان أبو حنيفة جالساً في المسجد فمرّ عليه رجل . فقال أبو حنيفة : هذا الرجل غريب ، وفي كمه شيء من الحلوى ، وهو معلم صبيان . فقام بعض أصحاب أبي حنيفة وتبع الرجل ، فوجده غريباً ، ووجد في كمه زبيباً ، ووجد أنه معلم صبيان . فسألوا أبا حنيفة : بم عرفت أنه غريب ؟ قال : رأيته ينظر يميناً وشمالا وكذلك الغريب يفعل ، ورأيت

الذباب على كمه فعلمت أن في كمه شيئاً من الحلوى ، ورأيته ينظر للصبيان فعلمت أنه معلم صبيان

٣٥ — ذكاؤه

كان أبو حنيفة في الذكاء والفطنة آية فكانت توجه اليه الأسئلة المعقدة المبهمة فيجيب عنها على البديهة إجابة مسكتة ، وكان يعرف كيف يتقي المكايد ، ويتخلص من الورطات وينجو من المهالك . قال محمد بن مقاتل : قصد رجل أبا حنيفة فقال له : ما تقول في رجل لا يرجو الجنة ، ولا يخاف من النار ، ولا يخاف الله تعالى ، ويأكل الميتة ، ويصلي بلا ركوع ولا سجود ، ويشهد بما لا يرى ، ويبغض الحق ، ويحبّ الفتنة ، ويفرّ من الرحمة ، ويصدّق اليهود والنصارى

فقال أبو حنيفة ـ وكان يعرفه شديد البغض له ـ : يافلان ، سألتني عن هذه المسائل ولك بها علم ؟ فقال الرجل : لا . فقال أبو حنيفة لأصحابه : ما تقولونه في هذا الرجل ؟ قالوا : شرّ رجل هذه صفة كافر . فتبسم أبو حنيفة وقال لأصحابه : هو من أولياء الله تعالى حقاً . ثم قال للرجل : ان أنا أخبرتك أنه من أولياء الله تعالى تكفُّ عني سوء لسانك ؟ قال : نعم . قال أبو حنيفة : أما قولك لا يرجو الجنة ولا يخاف من النار، فانه يرجو رب الجنة

ويخاف رب النار . وقولك لا يخاف الله ، فانه لا يخاف الله تعالى أن يجور عليه في عدله وسلطانه . قال تعالى « وما ربك بظلام للعبيد» . وقولك : يأكل الميتة . فهو يأكل السمك وقولك : يصلي بلا ركوع ولا سجود . أراد الصلاة على النبي ﷺ أو صلاة الجنازة . وقولك يشهد بما لم يره ، فهو شهادة ألا إله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله . وقولك يبغض الحق : فهو يبغض الموت وهو الحق ، ويحب البقاء حتى يطيع الله تعالى ، قال تعالى « وجاءت سكرة الموت بالحق » . وقولك ويحب الفتنة : أراد أنه يحب المال والولد ، قال تعالى « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » . وقولك يفرّ من الرحمة : أراد أنه يفرّ من المطر . وقولك يصدق اليهود والنصارى : أراد قول الله تعالى عنهم « وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء » فقام الرجل وقبّل رأس أبي حنيفة وقال : أشهد أنك على الحق

وقال الفضل بن غانم : مرض أبو يوسف ، فعاده أبو حنيفة مراراً وفي بعض هذه المرات رآه ثقيلا فاسترجع وقال : لقد كنت أؤملك بعدي للمسلمين ولئن أصيب الناس بك ليموتن معك علم كثير ، وفي رواية لئن مات هذا الغلام لايخلفه أحد على وجه الأرض . فبلغ ذلك أبا يوسف . ثم رُزق العافية ، فأعجب بنفسه

وعقد لنفسه مجلسا في الفقه ، فانصرف وجوه الناس اليه وقصر عن مجلس أبي حنيفة . فسأل عنه فأخبر أنه عقد لنفسه مجلسا ، وأنه بلغه كلامك فيه . فدعا رجلا كان له عنده قدر وقال له : سر إلى مجلس يعقوب فقل له : ماتقول في رجل دفع الى قصار ثوباً ليقصره بدرهمين فسار اليه بعد أيام ، فطلب الثوب فقال له القصار : مالك عندى شيء وأنكره . ثم إن صاحب الثوب عاد اليه وطلب ثوبه ، فدفع له الثوب مقصورا . هل له أجرة ؟ فان قال له أجرة فقل له أخطأت وان قال لا أجرة له فقل أخطأت

فسار اليه ، فسأله . فقال أبو يوسف : له الأجرة . فقال : أخطأت . فنظر أبو يوسف ساعة ثم قال : لا أجرة له . فقال : أخطأت . ثم قام أبو يوسف من ساعته فأتى أبا حنيفة . فلما دخل عليه قال له أبو حنيفة : ماجاء بك إلا مسألة القصار . قال أجل . قال : سبحان الله من قعد يفتي الناس وعقد لنفسه مجلسا يتكلم في دين الله تعالى وهذا قدره لايحسن أن يجيب عن مسألة من الاجارات ؟! فقال : ياأبا حنيفة علمنى . فقال : إن كان قصره بعد ماغصبه فلا أجرة له لأنه انما قصره لنفسه ، وان كان قصره قبل أن يغصبه فله الأجرة لأنه قصره لصاحبه . وقال داود الطائي : لما نزل أبو العباس الى الكوفة جمع العلماء وقال : ان هذا الأمر قد أفضى الى أهل البيت وقد حباكم الله بالفضل.

واقامة الحق ، وأنتم يامعشر العلماء أحق من أؤتمن عليه ولكم الكرامة والضيافة من مال الله ، فبايعوا بيعة تكون لكم أمانا في معادكم لاتلقون الله بلا امام فتكونوا ممن لاحجة له ، ولاتقولوا أمير المؤمنين نهابه أن نقول الحق . . . فنظر القوم الى أبي حنيفة . فقال : ان أحببتم أن أتكلم عنى وعنكم فأمسكوا . فقالوا أحببنا ذلك . فقال : الحمد لله الذى بلغ الحق من قرابة رسول الله ﷺ وأمات عنا جور الظلمة وبسط ألسنتنا بالحق . قد بايعناك على أمر الله والوفاء لك بعهد الله ، فلا أخلى الله هذا الأمر من قرابة نبيه . فأجابه أبو العباس بجواب جميل وقال : مثلك من يخطب عن العلماء . لقد أحسنوا اختيارك ، وأحسنت في البلاغ

وعن وكيع قال : رأيت أبا حنيفة وسفيان ومسعرا وجعفر بن زياد والحسين بن صالح اجتمعوا في وليمة بالكوفة حضر فيها الاشراف والموالى ، وقد زوّج رجل ابنتيه من ابنى رجل . فلما اجتمع الناس الى ذلك خرج اليهم الولى فقال : أصبنا بمصيبة عظيمة . قيل له : وما هى ؟ قال : غلط علينا فزفت الى كل واحد غير امرأته . فقال : أنت أبوهما ؟ قال نعم . قال سفيان : هذه حكم فيها أمير المؤمنين على بن أبي طالب بعينها ، كان معاوية وجه اليه فيها ، فقال على للذى سأله أرسول معاوية أنت ؟ ان هذا لم يكن ببلدنا ، أرى أن على كل واحد من الرجلين العقر بما أصاب من.

المرأة لانه وطئها بشبهة فيلزمه المهر كله للموطؤة ولو حملت منه فالولد حرّ نسيب وترجع كل واحدة من المرأتين الى زوجها بعد انقضاء عدتها من وطء الشبهة ولاشيء عليهم في ذلك. والناس سكوت يسمعون من سفيان ويستحسنون قوله ، وأبو حنيفة في القوم وهو ساكت . فالتفت مسعر اليه وقال له : قل فيها يا أبا حنيفة . قال سفيان : وما عسى أن يقول غير هذا ؟ فقال أبو حنيفة : عليَّ بالغلامين ، فاحضرا . فقال لكل واحد منهما : أتحب أن تكون عندك امرأتك التى زفّت اليك ؟ قال : نعم . قال فما اسم امرأتك التي هي عند أخيك ؟ قال : فلانة بنت فلان. قال : قل هي طالق مني . ثم ان ابا حنيفة خطب خطبة النكاح وزوج كل واحد منهما المرأة التي كان مسها . ثم قال أبو حنيفة : جددوا عرساً آخر . فعجب الناس من فتيا ابى حنيفة . وفي ذلك اليوم قام مسعر فقبّل فم ابي حنيفة وقال : تلومونني على حبه ؟ وسفيان ساكت لايقول شيئا

وعن الحسن بن أبي مالك قال : دخل أبو حنيفة الى ابن أبي ليلى ومعه أبو يوسف ليقضي حقّه . فلما جلس أبو حنيفة عنده قال ابن أبي ليلى لحاجبه : ائذن لمن حضر من الخصوم بالدخول ، كأنه أراد أن يري أبا حنيفة اجراآته وامضاءه في القضاء والحكم فدخل عليه الخصوم وتقدم اليه جماعة ، فحكم بينهم . ثم تقدم

اليه رجلان فقال أحدهما : أعزك الله ، ان هذا الرجل قذف أمي بالزنا ، وشتمني ، وقال يا ابن الزانية . وأنا أسأل القاضي أن يأخذ لي بحقي . فقال ابن أبي ليلى للمدعى عليه : ماتقول ؟ فقال له أبو حنيفة : أتسأله عن دعواه وليس هو له بخصم ، انه يذكر أنه رمى بالزنا أمه ، فهل ثبتت وكالته عن أمه عندك ؟ قال لا . قال أقبل على صاحبك واسأله أحية أمه أم ميتة ؟ فان كانت حية فلا وجه لدعواه الا بوكالة منها في المطالبة بحقها ، وان كانت ميتة كان قولا آخر . قال فرجع ابن أبي ليلى على المدعى فقال له : أمك حية أم ميتة ؟ قال بل ميتة . قال له : أقم عندي البينة بوفاتها حتى أعلم ذلك . قال : فأقام عنده البينة بوفاتها . فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عما يقول المدعي . فقال له أبو حنيفة : أقبل على صاحبك فسَلْه هل لأمه وارث غيره ؟ فان كان له اخوة كانت المطالبة لهم وله ، وان كان هو وحده كان قولا آخر . فقال ابن أبي ليلى للمدعي هل لأمك وارث غيرك قال لا . قال فأقم عندي البينة بذلك . فأقام البينة أنه وارث أمه لا وارث لها غيره . قال فذهب ابن أبي ليلى ليسأل المدعى عليه عن دعوى المدعي . فقال أبو حنيفة : أقبل على صاحبك وسله عن أمه أحُرّة هي أم أمَة ؟ فقال ابن أبي ليلى للرجل أمك حرة أم أمة ؟ قال بل حُرّة قال : فأقم عندي البينة . فأقام بينة بذلك .

فذهب ليسأل المدعى عليه : فقال أبو حنيفة : ارجع إلى صاحبك واسأله أمسلمة هى أم معاهدة قال حُرّة مسلمة من بنات آل فلان سراة بالكوفة . قال فأقم البينة عندي بأنها مسلمة . فأقام البينة عنده بأنها مسلمة . ثم أقام البينة على أن أمه عفيفة عن وطء محدّ به وأن ذلك الرجل لم يقذفها في حياتها وأنها سامحته من حدّ القذف لأنه إذا قذفها وهي حية وسامحته من الحدّ لم يُحدّ بقذفها

ثم قال أبو حنيفة لابن أبي ليلى : شأنك الآن فاسأل الرجل عما ادعى المدعي . فسأله فأنكر . فقال للمدعي : ألك بينة ؟ قال نعم ، جماعة من وجوه أهل الكوفة . قال فأحضرهم مع خصمك حتى اسمع شهادتهم عليه . ثم نهض أبو حنيفة وانصرف . . .

وعن الحسن بن زياد قال : كان عندنا امرأة مجنونة يقال لها أم عمران . فمرّ بها إنسان فقال لها كلاما . فقالت له يا ابن الزّانيين وابن أبي ليلى يسمع ، فأمر أن يؤتى بها ، فأدخلها المسجد وضربها حدّين حدّا لأبيه وحدّا لأمه فبلغ ذلك أبا حنيفة . فقال : أخطأ فيها من ستة أوجه : المجنونة لاحدّ عليها . وأقام عليها الحد في المسجد والحدود لا تقام في المساجد . وضربها قائمة والنساء يُضربن قاعدات . وأقام عليها حدين ، ولو أن رجلا قذف قوما ما كان عليه إلا حدّ واحد . وضربها والأبوان غائبان ولا يكون ذلك إلا بمحضر منهما لأن الحد لا يكون إلا لمن

يطلبه . وجمع بين حَدين في مقام واحد ؛ ومن وجب عليه حدان لم يقم عليه الثاني حتى يجف الأول ، ثم يضرب الثاني

فبلغ ذلك ابن أبي ليلى . فذهب الى الامير فشكاه . فحجر الأمير على أبي حنيفة أن يفتي ثم وردت مسائل لعيسى بن موسى فسئل عنها أبو حنيفة ، فأجاب فيها . فاستحسن عيسى ذلك ، وأذن له فجلس في مجلسه .

٣٦ — أجوبته المسكتة

فأما حضور جواب أبي حنيفة وسرعته وموافقته للحكمة والصواب فانك تقرأه في هذه الوقائع :

١ — قدم الضحاك الكوفة ، فقال لأبي حنيفة تُبْ . فقال مِمَّ أتوب ؟ فقال من قولك بتجويز الحكمين . فقال له أبو حنيفة : تقتلني أو تناظرني ؟ قال بل أناظرك . قال : فان اختلفنا في شيء مما تناظرني عليه فمن يحكم بيني وبينك. قال اجعل أنت من شئت . فقال أبو حنيفة لرجل من أصحاب الضحاك . اقعد فاحكم بيننا فيما اختلفنا فيه . ثم قال للضحاك : أترضى هذا بيني وبينك حكما ؟ فقال : نعم . قال أبو حنيفة : فأنت قد جوّزت التحكيم ... فانقطع الضحاك

٢ — واجتمع ابن أبي ليلى وسفيان الثوري وشريك

وأبو حنيفة في مجلس . فسألهم سائل فقال : ماتقولون في قوم كانوا جلوسا ، فصعدت حية على رجل منهم فدفعها عن نفسه . فسقطت على رجل آخر ، فدفعها عن نفسه . فسقطت على آخر فلسعته فهلك الرجل ، ما الجواب فيه ؟ وعلى من تكون دية الهالك ؟ . فخاض القوم في المسألة وأبو حنيفة ساكت . فقال بعضهم الدية على الأول ، وقال بعضهم على الجميع . واضطربوا في المسألة وأبو حنيفة يتبسم . فقالوا له قد قلنا مانعرفه في المسألة فما تقول أنت ؟ فقال أبو حنيفة : لما دفع الأول عن نفسه فسقطت على الآخر فلم تضره خرج عن الضمان . وكذلك الثاني وأما الأخير فان كان الذي دفع عن نفسه حين سقطت على الأخير لبثت ولم تلسعه مع سقوطها فلا دية عليه وان لسعته حين سقوطها عليه من غير لبث فعليه الدية . فقال القوم كلهم : القول ماقلت يا أبا حنيفة

٣ — وتزوج رجل من القوّاد امرأة سراً ، فولدت منه ثم أنكر زوجيتها وبنوة الولد . فحاكمته إلى ابن أبي ليلى فقال لها : هاتي بينة على النكاح . فقالت إنما تزوجني على أن الله الولي والشاهد الملكان . فقال لها : اذهبي . وطردها . فأتت المرأة أبا حنيفة مستغيثة ذاكرة له ماحصل . فقال لها : ارجعي الى ابن أبي ليلى فقولي له : قد أصبت بينة . فاذا هو دعا بزوجك ليسأله

عن الدعوى ويُشهد عليه ، قولى : أصلح الله القاضى ، يقول إنه كافر بالولى والشاهدين . . فقال له ابن أبي ليلى ذلك . فنكل ، ولم يستطع أن يقول ذلك ، وأقرّ بالتزويج . فألزمه المهر وألحق به الولد .

٤ — وقال اللّيث بن سعد : كنت أسمع بذكر أبي حنيفة فأتمنى أن أراه . فأتيت مكة فرأيت الناس ملتفين حول رجل . فسمعت واحدا يقول : يا أبا حنيفة ، فعلمت أنه هو . فقال : إني ذو مال ولى ابن أزوّجه المرأة فأنفق عليه المال الكثير فيطلقها فيذهب مالى . فهل لى من حيلة ؟ قال أبو حنيفة : ادخل معه سوق الرقيق ، فاذا وقعت عينه على جارية فاشترها لنفسك . ثم زوجه إياها فان طلقها رجعت اليك وان أعتقها لم يجز عتقه . قال الليث : فو الله لقد أعجبني جوابه كما أعجبتني سرعته في جوابه

٥ — وقال أبو يوسف : دعا المنصور أبا حنيفة . فقال الربيع حاجب المنصور وكان معاديا أبا حنيفة : يا أمير المؤمنين ، هذا أبو حنيفة يخالف جدك ، كان عبد الله بن عباس يقول : إذا حلف الانسان يميناً ثم استثنى بعد يوم أو يومين جاز ، وقال أبو حنيفة: لايجوز الاستثناء إلا متصلا باليمين . فقال أبو حنيفة : يا أمير المؤمنين ، ان الربيع يزعم أنه ليس لك في رقاب جندك بيعة . قال : وكيف ؟ قال : يحلفون لك ثم يرجعون إلى منازلهم

فيستثنون ، فتبطل أيمانهم . فضحك المنصور وقال : يا ربيع ، لا تتعرض لأبي حنيفة

فلما خرج أبو حنيفة قال له الربيع : أردت ان يشيط بدمي؟ قال : لا ولكنك اردت أن تشيط بدمي ، فخلصتك وخلصت نفسي .

٦ — وكان ابو العباس الطوسي سيّء الرأي في ابي حنيفة ، وكان ابو حنيفة يعرف ذلك . فدخل ابو حنيفة على المنصور فقال الطوسي : اليوم أقتل ابا حنيفة . ثم قال : يا ابا حنيفة إن امير المؤمنين يدعو الرجل منا فيأمره بضرب عنق الرجل ولا يدري من هو ؟ أيسعه ان يضرب عنقه ؟ فقال له ابو حنيفة : هل امير المؤمنين يأمر بالحق او بالباطل؟ قال : بالحق . قال أنفذ الحق حيث كان ، ولا تسأل عنه . . .

ثم قال أبو حنيفة لمن جلس بجواره : إن هذا أراد أن يوثقني فربطته

٧ — وقال أبو حنيفة : ما من شيء إلا وقد بين في القرآن الكريم يقول الله تعالى : « ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين » ويقول : « ما فرّطنا في الكتاب من شيء » ويقول : « تبياناً لكل شيء » فقال له رجل : يا أبا حنيفة هل الطفيلي في

القرآن ؟ قال نعم : قال الله تعالى : « لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه ولكن إذا دعيتم فادخلوا فاذا طَعِمتُم فانتشروا » فالطفيليُّ يدخل بغير إذن

٨ — وكان الاعمش لا يركن إلى أبي حنيفة . وقد حلف الاعمش بطلاق امرأته إن أخبرته بفناء الدقيق ، أوْ راسلته بشأنه ، أو قالت لأحد يذكره له ، أو أوْمأتْ بذلك . فتحيرت المرأة وطلبت المخرج فقيل لها : عليك بأبي حنيفة . فذهبت إليه وقصت عليه القصة ، فقال لها : الأمر سهل شُدّي الجراب الليلة على ثوبه ، فاذا أصبح او قام بالليل علم خلاء الجراب وفناء الدقيق ، فيحتال لمعاشه ، ففعلت . فلما نام الاعمش قام بالليل وأخذ إزاره فوجد حِسّ الجراب ، فمسّه وانجرّ إليه حين جرّ إزاره ، فعلم فناء الدقيق . فجعل يقول : والله هذا من حيل أبي حنيفة ، كيف نفلح وهو حيّ يفضحنا في نسائنا يريهن عجزنا ورقّة فهمنا

٩ — وتنبأ رجل في زمن أبي حنيفة وقال : أمهلوني حتى أجيء بالعلامات . فقال أبو حنيفة : من طلب منه علامة فقد كفر لقول النبي ﷺ « لانبي بعدى »

١٠ — وتزوج أبو حنيفة امرأة أخرى غير أم حماد . فلما

علمت أم حماد بذلك هجرته وسألته أن يطلق الجديدة ثلاثا . فاحتال أبو حنيفة حتى ظنت والدة حماد أن الجـديدة طلقت ، فسكن قلبها . ثم قال للجديدة ادخلى على والدة حماد وأنا معها في الدار وسلى على وجه الاستفتاء : إذا تزوج الرجل امرأة هل يجوز لها أن تهجر زوجها ؟ فلما دخلت وسألت عن هذه المسألة أجاب أبو حنيفة : لايحل لها أن تهجر زوجها . فقالت والدة حمـاد مالم تطلق المرأة الجديدة لا أصاحبك . فقال أبو حنيفة : كل امرأة في خارج هـذه الدار فهى طالق ثلاثا . ففرحت أم حماد واعتذرت ولم تطلق الجديدة

١١ — وسئل أبو حنيفة عن رجـل له امرأة صعدت على السلم فقال لها زوجها : أنت طالق ثلاثا إن صعدت ، وأنت طالق ثلاثا إن نزلت . ما الحيلة في هـذا ؟ قال لاتصعد ولا تنزل بل تقف مكانها في السلم ويحتال جماعة يحملون السلم مع المرأة فيضعونها على الأرض فلا يحنث الرجل لانها لم تصعد ولم تنزل وقيل له هل في هذه المسألة حيلة أخرى غير هذه ؟ فقال : نعم إن حملها النساء عن السلم من غير إرادتها فوضعنها على الارض لم يحنث الرجل

١٢ — ودعا ابن هبيرة أبا حنيفة يوماً وأراه فصاً منقوشاً

مكتوبا عليه : « عطاء بن عبد الله » وقال أكره التختم به لأنه مكتوب عليه اسم غيرى ولا يمكن حكه . قال أبو حنيفة دوّر رأس الباء يكن : « عطاء من عند الله » فتعجب من سرعة استخراجه وقال له : لو أكثرت الاختلاف إلينا ؟ قال : وما أصنع عندك . إن قربتني فتنتني ، وإن أقصيتني أحزنتني ، وليس عندك ما أرجوه ، وليس عندى ما أخافك عليه

ومثل هـذا جرى بينه وبين المنصور وعيسى بن موسى أمير الكوفة حين قال له لو أكثرت الاختلاف الينا . فأجابه بمثل ماذكرنا سابقا

١٣ — وجاء الى أبي حنيفة جماعة ممن يرون القراءة خلف الامام للمناظرة في هذه المسألة . فقال : كيف أناظركم جميعا ؟ فردوا الأمر الى أعلمكم ..ففعلوا . فقال هل تقبلون بأن مناظرته والزامه مناظرة لكم وإلزام لكم؟ قالوا نعم لأنا اخترناه وجعلنا كلامه كلامنا . فقال كذلك اخترنا الامام وجعلنا قراءته قراءتناه فكفانا ذلك . فاقروا له بالالزام

٦

حلم الامام وعفوه عن السفهاء ـ وصف أخلاقه ـ أكله من كسبه ـ رده جوائز الخلفاء والأمراء ـ تفقده أصحابه ـ طريقته فى التدريس ـ بره والديه وأستاذه وصاياه فى أدب القضاء

---

٣٧ — حلم الامام وعفوه عن السفهاء

استطال السفهاء على أبي حنيفة مااستطالوا ، وناله من بذاءة الجهال ، وكيد الحاقدين والحساد ما ناله ، فكان ممن « اذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما . وإذا مروا باللغو مروا كراما »

قال يزيد بن الكميت : شهدت أبا حنيفة قد شتمه رجل ، واستطال عليه ، وقال له : يا زنديق . . . فقال له أبو حنيفة : غفر الله لك ، هو يعلم منى خلاف ما تقول

وقال عبد الرزاق بن همام : ما رأيت أحلم من أبي حنيفة .

كنا جلوساً معه في المسجد والنـاس حوله ، فسأله رجل من أهل البصرة عن مسألة فأجابه فيها . فقال السائل : إن الحسن قال فيها كذا وكذا . فقال أبو حنيفة أخطأ الحسن . فقام رجل مغطى الوجه وقال لابي حنيفة : يا ابن الزّانية ! أنت الذي تقول أخطأ الحسن ؟ فماج الناس وهمّوا به ؟ فسكنهم أبو حنيفة ومنعهم عنه وأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : نعم أخطأ الحسن ، وأصاب ابن مسعود فيما رواه عن رسول الله ﷺ

وقال عصام بن يوسف : قام رجل في ناحية المسجد وجعل يسب أبا حنيفة ويشتمه فما قطع أبو حنيفة حديثه ولا التفت اليه ولا أجابه ونهى أصحابه عن مخاطبته . فلما فرغ أبو حنيفة من درسه وقام تبعه ذلك الرجل البذيء فلما وصل أبو حنيفة الى باب داره قام على بابه واستقبل الرجل بوجهه وقال : هذه داري ، فان كنت تتم باقي كلامك فأتمه حتى لا يبقى معك شيء . . فاستحى الرجل وقال : اجعلني في حل . فقال : أنت في حل . وفي رواية ـ أن الرجل تبع أبا حنيفة حتى دخل الدار فجعل يسب ويشتم فلم يجبه أحد . . فقال : أتعدونني كلباً ؟ فقيل من داخل الدار : نعم

٣٨ — وصف أخلاقه

ما كان أبو حنيفة اماما في العلم والفقه فحسب ولكنه كان اماما أيضا في الفضيلة ومكارم الاخلاق

روى عن ابراهيم بن سعيد الجوهرى انه قال : كنت عند أمير المؤمنين هارون الرشيد إذ دخل عليه أبو يوسف ، فقال له الرشيد : يا أبا يوسف صف لى أخلاق أبي حنيفة . فقال : إن الله عز وجل يقول : « مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد » وهو عند لسان كل قائل . علمى بأبي حنيفة أنه كان شديد الذّب عن محارم الله تعالى أن تؤتى ، شديد الورع ، لا ينطق في دين الله إلا بعلم ، يحب أن يطاع الله تعالى ولا يُعصَى ، مجانبا أهل الدنيا في زمانهم ، لا ينافس في عزها ، طويل الصمت ، دائم الفكر ، على علم واسع ، لم يكن مهذارا ولا ثرثارا . ان سئل عن مسألة كان عنده فيها علم نطق به وأجاب فيها بما سمع ، وان كان غير ذلك قاس على الحق واتبعه ، صائنا نفسه ودينه . بذولا للعلم والمال . مستغنيا بنفسه عن جميع الناس . لا يميل الى طمع . بعيد عن الغيبة . لا يذكر أحدا الا بخير . فقال

الرشيد : هذه أخلاق الصالحين

وقال زفر : كان أبو حنيفة حليما صبورا احمولا

وقال يزيد بن هارون : كان أبو حنيفة له فضل ودين وورع وحفظ لسان واقبال على مايعنيه . وقال أبو يحيى الحماني : سمعت أبا حنيفة يقول : ما جازيت أحدا بسوء مطلقا ، ولا لعنت أحدا ، ولاظلمت مسلما ولا معاهدا ، ولا غششت أحدا ولا خدعته . وقال أبو معاذ : كان أبو حنيفة يعرف اختلافي الى سفيان وكان بينهما ما يكون بين الأقران ، فما منعه ذلك من تقريبي وقضاء حوائجي . وكان حليما ورعا وقورا قد جمع الله فيه كل الخصال الشريفة . وقال ابن عمران الموصلي : كان في أبي حنيفة عشر خصال : ما كانت واحدة منها في أحد الا صار رئيسا في قومه وساد قبيلته : الورع ، والصدق ، والفقه ، ومداراة الناس ، والمروءة الصادقة ، والاقبال على ماينفع ، وطول الصمت ، والاصابة في القول ومعونة اللهفان ، عدوا كان أو صديقا

وقال أبو الخطاب الجرجاني : كنت عند أبي حنيفة ، فجاء غلام وألقى عليه مسألة ، فأجابه فيها . فقال له أخطأت يا أبا حنيفة . . فقلت لمن حوله من أصحابه : سبحان الله !! لاتعلمون

هذا الشيخ ولا تبجلونه ؟! يجيء غلام فيخطئه وأنتم سكوت ؟!
قال : فالتفت لي وقال : دعهم فانا لا نرد على سفيه ، ولقد عودتهم ذلك من نفسي

٣٩ — اكله من كسبه

تواترت الروايات على أن الامام رضي الله عنه كان يتجر في البز ، وكان مسعودا في ذلك ماهراً فيه ، وكان له حانوت بالكوفة وشركاء يسافرون له في شراء ذلك وفي بيعه . قال أبو يوسف : كان أبو حنيفة باذلا للمال ، مستغنياً بنفسه عن جميع الناس لا يميل الى طمع

وقال عمر بن حماد بن أبي حنيفة : كان أبو حنيفة خزازاً ودكانه معروف في دار عمر بن حريث

وقال محمد بن مقاتل: كان أبو حنيفة خزازا فجاءت امرأة تطلب ثوب خز ، فقال لغلامه : أخرج لها ثوب خزّ ، فأخرجه وضرب يده عليه وقال : صلى الله على محمد . فغضب أبو حنيفة وقال : تمدح ثوبي بالصلاة على محمد ، لا أبيع ثوبي اليوم . فلم يبع ذلك اليوم شيئاً من متاعه

٤٠ — رده جوائز الامراء والخلفاء

عرضت على الامام جوائز الخلفاء والامراء وأرباب الدولة فردها وما قبل هدية منهم

قال الحسن بن زياد : والله ما قبل أبو حنيفة لاحد منهم جائزة ولاهدية وقال يوسف بن خالد : أجاز المنصور أبا حنيفة بثلاثين ألف درهم في دفعات . فقال يا أمير المؤمنين اني ببغداد غريب ، وليس لها عندي موضع ، اجعلها في بيت المال . فأجابه المنصور الى ذلك . فلما مات أبو حنيفة أخرجت ، فقال أبو جعفر المنصور : خدعنا أبو حنيفة . وقال خارجة بن مصعب : أجاز المنصور أبا حنيفة بعشرة آلاف درهم ؛ فدُعي ليقبضها فشاورني وكان يكاد لايشاور في أمره غيري وقال : ان رددت عليه هديته غضب ، وان قبلتها دخل عليَّ في ديني ما أكرهه ؛ فقلت له : ان هذا المال عظيم في عينه ، فاذا دعيت لتقبضها فقل له : لم يكن هذا أملي من أمير المؤمنين . فدعي ليقبضها ، فقال ذلك . فرُفع اليه خبره فحبس الجائزة

عن الحسن بن أبي مالك عن أبيه قال : وقع بين المنصور

و بين زوجته الحرة خصومة وشقاق و شكوى في ميله عنها و طلبت العدل بينها و بين سائر أزواجه و أمهات أولاده . فقال لها ترضين في الحكومة بيني و بينك بمن ؟ قالت بأبي حنيفة . فرضي به وأحضره فجلست خلف الستر ، فتكلم المنصور فقال : يا أبا حنيفة ، الحرة تخاصمني فأنصفني منها . فقال أبو حنيفة : ليتكلم أمير المؤمنين . فقال : يا أبا حنيفة كم يحل أن يتزوج الرجل من النساء فيجمع بينهن ؟ فقال أبو حنيفة : أربع . قال وكم يحل من الاماء ؟ قال ما شاء ليس لهن عدد . قال : وهل يجوز لاحد أن يقول بخلاف ذلك ؟ قال لا . فقال أمير المؤمنين : اسمعي ياهذه . قالت قد سمعت . فقال أبو حنيفة : ياأمير المؤمنين إنما أحل الله تعالى هذا لاهل العدل ، فمن لم يعدل أو خاف ألا يعدل فينبغي أن لا يجاوز الواحدة . قال الله تعالى : « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة » فينبغي لنا أن نتأدب بآداب الله و نتعظ بمواعظه . فسكت أمير المؤمنين وطال سكوته فقام أبو حنيفة وخرج . فلما بلغ منزله أتبعته الحرّة خادماً و بعثت على يده خمس بدر فيها خمسون ألفاً و خلعاً و جارية حسناء و حماراً فارهاً ، وقالت قل له مولاتي تقرئك السلام و تشكرك على ما كان منك و قولك الحق في مثل ذلك

الموضع . فأتى الخادم أبا حنيفة بالهدية ، فقال أبو حنيفة للخادم : أقرئها سلامي وقل لها : انما ناضلت عن ديني وقلت له في ذلك المقام ما قلت لله تعالى ولم أرد بذلك تقربا الى أحد ولا التمست به دنيا ولا براً من مخلوق فردّ ما جئت به اليها وقل لها : بارك الله لك في مالك . وما مدّ يده الى شيء من الهدية ولا نظر الى شيء منها

٤١ — تفقده اصحابه

لم ير النـاس أكرم من أبي حنيفة ولا أشد اكراما لأصحابه منه

قال الوليد بن قاسم : كان أبو حنيفة حسن التفقد لأصحابه يسأل عن أحوالهم ، فمن عرف به حاجة واساه ، ومن مرض منهم أو مرض قريب له عاده ، ومن مات منهم أو مات قريب له شيّع جنازته ، ومن نابته منهم نائبة سعى في حوائجهم . . وكان كريم الطبع . .

وقال عاصم بن يوسف : لم يكن لأحد على أحد من الحق كما لأبي حنيفة رحمه الله على أصحابه ، وان الذباب اذا وقع على أحد منهم يرى مشقة ذلك من عظيم حرمتهم عنـده . وبلغ من عظيم

حقهم عليه أن رجلا دخل عليه متغير اللون ، فقيل له مالك ؟ فقال : ان فلاناً (وسمّاه) سقط من سطح داره ، فسمع أبو حنيفه ذلك ، فصاح صيحة أسمعت من في المسجد ، وقام فزعاً اليه حافياً وقال : لو أمكنني أن أحمل هذه العلة عنك وأضعها على نفسي لفعلت . وخرج من عنده باكياً ، وكان يعوده صباحا ومساء . .

٤٢ — طريقته فى التدريس

قال عبد الله بن شمير : كان أبو حنيفة اذا جلس جلس حوله أصحابه : القاسم بن معْن ، وعافية بن يزيد ، وداود الطائي ، وزفر بن الهذيل وأشكالهم ، فيتطارحون مسألة فيما بينهم فيرفعون أصواتهم ويكثر كلامهم فيها . فاذا أخذ أبو حنيفة في الكلام سكتوا جميعا فلا يتكلمون حتى يفرغ من كلامه ، فاذا فرغ اشتغلوا بتحفظ ماتكلم به في المسألة ، فاذا أحكموها أخذوا في مسألة أخرى

وقال سفيان بن عيينة : مررت بأبي حنيفة وهو مع أصحابه قد ارتفعت أصواتهم . فقلت : يا أبا حنيفة هذا المسجد والصوت لا يرفع فيه . فقال : دعهم فانهم لا يفقهون الا به . .

٤٣ — برّه والديه واستاذه

١ — قال أبو يوسف : رأيت أبا حنيفة يحمل والدته على حمار الى مجلس عمر بن ذرّ كراهة أن يردّ عليها أمرها

وقال أبو حنيفة : ربما ذهبتُ بأمي الى مجلس عمر بن ذر . فابتليتْ بشيء ، فقالت لى : اذهب الى عمر بن ذر فاسأله عنه . فقلت لها . فأبتْ . . فأتيت عمر فقلت له : ان أمي ابتُليَت بكذا وكذا وأمرتني أن آتيك فأسألك عنه . فقال لى عمر : أنت تسألني عن هذا ؟! فقال : ان أمي أمرتني بهذا . فقال لى : قل حتى أخبرك . فقلت له فأخبرني ، فأتيت الوالدة وأخبرتها بما قال عمر . .

وروى الخطيب البغدادي أنه كان في المسجد قاصّ يقال له زرعة ، فأرادت أم أبي حنيفة أن تستفتيه في شيء . فأفتاها أبو حنيفة فلم تقبل ، وقالت لا أقبل الا قول زرعة القاصّ . فجاء بها أبو حنيفة الى زرعة وقال له هذه أمى تستفتيك في كذا وكذا . فقال زرعة : أنت أعلم مني وأفقه . فقال أبو حنيفة : قد أفتيتها بكذا وكذا . فقال القول ماقال أبو حنيفة . فرضيت وانصرفت

٢ — وقال أبو حنيفة : ما مددت رجلي نحو دار أستاذي حماد بن أبي سليمان اجلالا له ، وكان بين داره وداري سبع طرق

وقال أيضاً ما صلّيت منذ مات حماد بن أبي سليمان صلاة الا استغفرت له مع والديّ ، واني لا ستغفر لمن تعلمت منه أو تعلم مني

٤٤ - وصاياه فى آداب القضاء

عن نوح بن أبي مريم قال : كنت أسأل أبا حنيفة عن معاني الأحاديث فكان يفسرها ويبينها ، وكنت أيضاً أسأله عن المسائل الغامضة ، وعامة ما كنت أسأله عن مسائل القضاء والأحكام ، فقال لي يوماً : يانوح انك ستولى القضاء . فلما رجعت الى مرو لم ألبث الا قليلا حتى ابتليت بالقضاء . فكتبت اليه كتاباً أعلمه بذلك وأعتذر اليه . فكتب الى :

من أبي حنيفة الى أبي عصمة

أما بعد فقد ورد عليّ كتابك ووقفت على مافيه ، وقد قُلّدتَ أمانة عظيمة يعجز عنها الكبار من الناس ، وأنت كالغريق فاطلب لنفسك مخرجا . وعليك بتقوى الله ، فانها

قوام الأمور ، والخلاص في المعاد ، والنجاة من كل بلية ، وبها يدرك أحسن العواقب . قرن الله تعالى بخير العواقب أمورنا ووفقنا لمرضاته انه سميع قريب . واعلم ان أبواب القضاء لا يدركها الا العالم النحرير الذي وقف على أصول العلم بالكتاب والسنة وأقاويل الصحابة ، وكان له بصر ورأي ونفاذ . فاذا أشكل عليك شيء من ذلك فارحل الى الكتاب والسنة والاجماع فان وجدت ذلك ظاهرا فاعمل به والا فرُدّه الى النظائر واستشهد عليه بالأصول . ثم اعمل بما كان الى الأصول أقرب وبها أشبه ، وشاور أهل المعرفة والبصيرة فان فيهم من يدرك مالا تدركه أنت

فاذا جلس اليك الخصمان للحكومة فسوّ بين القوي والضعيف والشريف والوضيع في المجلس والاقبال والكلام . ولا تظهرن من نفسك شيئا يطمع فيك الشريف لشرفه ، وييئس الوضيع لضعفه

واذا جلس الخصمان بين يديك فدعهما حتى يستمكنا من الجلوس ، ويذهب عنهما خجل المجلس والروع . ثم كلمهما برفق وأفهمهما كلامك ، واستوعب كلام كل واحد منهما ، ولا

تعجلهما ودعهما حتى يفرغا من جميع ما يريدان ، الا أن يأخذا في فضل فتمنعهما عن ذلك ، و تبين لهما ذلك

ولا تقض عند الضجر والغضب والحزن ولا تقض حاقنا ولا جائعا ولا خائفا

ولا تقض وأنت مشغول البال ولاتعجل بفصل القضاء بين القرابات و ردهم مجالس لعلهم يصطلحون ، فان كان والا قضيت بينهم

ولا تقض على أحد حتى تتبين لك الوجوه التي تلزمه ذلك . ولا تلقّن الشاهد ، ولا تشر في مجلسك ولا تومئ الى احد . ولا تكانّ الى قرابتك شيئا من الأمور ، ولا تجيبن أحدا في دعوته فتلزمك التهمة . ولا تتحدث في مجس القضاء . وآثر تقوى الله على ماسواه يكفك أمور دنياك وآخرتك ، و يرزقك السلامة



٧

كلمات الامام ووصاياه لتلاميذه وأصحابه آداب القضاء كيف يسوس الانسان الناس ويعاشرهم ـ وصاياه للامام أبي يوسف ـ مناجاته ربه ـ دعاؤه عند موت ابنه

يقول « بوفون Buffon» العالم الفرنسى المشهور : « الانشاء هو الانسان » ويعنى بذلك أنك تستطيع أن تعرف المرء من انشائه . فاذا أردت أن تدرس أبا حنيفة ، وتحلل نفسه وتعرف أخلاقه ، وتقف على أحواله وأنه امام في التربية والتعليم كما كان مثلا أعلى في الوعظ والارشاد ، وحكيما في وضع مناهج الحياة التي تكفل لمن يسير على ضوئها خير أنواع السعادة ، فاقرأ آثاره السالفة ووصاياه الآتية :

٤٥ — فى آداب القضاء

ذكرنا قبلا شيئاً من وصايا الامام في أدب القضاء ، ونضيف اليه ما ذكره الامام أبو يوسف قال : اجتمعنا عند أبي حنيفة في يوم مطير في نفر من أصحابه منهم : داود الطائي ؛

ووكيع بن الجراح ، وعافية الأودي ، والقاسم بن معن ، وحفص ابن غياث ، ومالك بن مغول ، وزفر بن الهذيل ، وغيرهم . فأقبل علينا وقال : أنتم مسارُّ قلبي ، وجلاء حزني ، قد أسرجت لكم الفقه وألجمته ، فاذا شئتم فاركبوا وقد تركت الناس يطأون أعقابكم و يلتمسون ألفاظكم ، و ذللت لكم الرقاب . وما من أحد منكم إلا وهو يصلح للقضاء . فأسألكم بالله تعالى وماوهب لكم من جلالة العلم أن تصونوا العلم عن الذل . فان بلي منكم رجل بالدخول في القضاء فعلم من نفسه خربة سترها الله عن العباد لم يجز قضاؤه ، ولم يطب له رزقه . وان كانت سريرته مثل علانيته جاز قضاؤه وطاب رزقه . فان ألجأته ضرورة الى الدخول فيه فلا يجعلن بينه و بين الناس حجابا ، وليصل الصلوات الخمس فى الجامع ، و ليناد عند كل صلاة : من له حاجة ؟ فاذا صلى صلاة العشاء الأخيرة نادى ثلاثة أصوات : هل لأحد من حاجة ؟ ثم يدخل منزله . فان مرض مرضاً لا يستطيع الجلوس معه للحكم أسقط من رزقه بقدر مرضه واذا أذنب ذنباً بينه و بين الناس أقامه عليه أقرب القضاة اليه . واذا أذنب ذنبا بينه و بين الله تعالى يستوجب به الحد درأ عنه الحد لأنه أولى باقامته

*

٤٦ — كيف يسوس الانسان الناس

بعد أن أخذ يوسف بن خالد السمتي العلم عن أبي حنيفة وأراد الرجوع الى بلدته البصرة استأذن أبا حنيفة في ذلك . فقال له أبو حنيفة حتى أزوّدك بوصية فيما تحتاج اليه في معاشرة الناس ومراتب أهل العلم ، وتأديب النفس وسياسة الرعية ورياضة الخاصة والعامة . وتفقد أمر العامة . حتى اذا خرجت بعلمك كان معك آلة تصلح له تزينه ولا تشينه

انك متى أسأت معاشرة الناس صاروا لك أعداء وان كانوا لك آباء وأمهات ، ومتى أحسنت معاشرة قوم ليسوا لك بأقرباء صاروا لك أمهات وآباء . . كأني بك وقد دخلت البصرة ، وأقبلت على من يخالفوننا بها ، ورفعت نفسك عليهم ، وتطاولت بعلمك لديهم وانقبضت عن معاشرتهم ومخالطتهم ، وخالفتهم وخالفوك ، وهجرتهم وهجروك ، وضللتهم وضللوك وبدعوك واتصل ذلك الشين بنا وبك . فاحتجت الى الانتقال عنهم ، والهرب منهم . . وهذا ليس من رأيي لأنه : « ليس بعاقل من لم يدار من ليس له من مداراته بدّ حتى يجعل الله تعالى له مخرجا »

اذا دخلتَ البصرة استقبلك النـاس وزاروك وعرفوا حقك ، فأنزل كل رجل منهم منزلته ، وأكرم أهل الشرف.

وعظم أهل العلم ، ووقر الشيوخ ولاطف الاحداث وتقرب من العامة ، ودار الفجار ، واصحب الاخيار ، ولا تتهاون بالسلطان ولا تحقرن أحدا ، ولا تقصرن في اقامة مروءتك ، ولاتخرجن سرك الى أحد ، ولا تثقن بصحبة أحد حتى تمتحنه ، ولا تخادن خسيسا ولا وضيعا ، ولا تألفن ماينكر عليك في ظاهرك ، واياك والانبساط الى السفهاء ، ولا تجيبن دعوة ، ولا تقبلن هدية . وعليك بالمداراة والصبر والاحتمال ، وحسن الخلق ، وسعة الصدر . واستجد ثيابك ، واستفره دابتك ، وأكثر استعمال الطيب . واجعل لنفسك خلوة ترُم بها حوائجك ، وابحث عن أخبار حشمك وتقدم في تأديبهم وتقويمهم واستعمل في ذلك الرفق . ولا تكثر العتاب فيهون العذل ، ولا تل تأديبهم بنفسك فانه أبقى وأهيب لك . وحافظ على صلواتك . وابذل طعامك فانه ما ساد بخيل . ولتكن لك بطانة تعرّفك أخبار الناس ؛ فمتى عرفت بفساد بادرت الى اصلاحه ، ومتى عرفت بصلاح ازددت فيه رغبة وعناية . وزر من يزورك ومن لا يزورك . وأحسن الى من يحسن اليك أو يسيء . وخذ العفو وأمر بالعرف وتغافل عما لايعنيك ، واترك كل من يؤذيك وبادر في اقامة الحقوق . ومَن مرض من اخوانك فعُده بنفسك وتعاهده

برسلك ، ومن غاب منهم افتقدت أحواله ، ومن قعد منهم عنك فلا تقعد أنت عنه . وصل من جفاك ، واكرم من أتى ، واعفُ عن أساء اليك ، ومن تكلم فيك بالقبيح فتكلم فيه بالحسن والجميل ، ومن مات منهم قضيت حقه ، ومن كانت له فرحة هنأته بها . ومن كانت له مصيبة عزيته عنها ومن أصابته جائحة توجعت بها ، ومن استنهضك بأمر من أموره نهضت له ، ومن استغاثك فأغثه ، ومن استنصرك نصرته . وأظهر توددا إلى الناس ما استطعت . وأفش السلام ولو على قوم لئام . ومتى جمع بينك وبين غيرك مجلس أو ضمك وإياهم مسجد وجرت المسائل وخاضوا فيها بخلاف ما عندك لا تبدلهم منك خلافا . فان سئلت عنها أخبرت بما يعرفه القوم ، ثم تقول : فيها قول آخر وهو كذا وكذا والحجة له كذا ، فان سمعوه منك عرفوا منزلتك ومقدارك . وأعط كل من يختلف اليك نوعا من العلم ينظر فيه . وخذهم بجلي العلم دون دقيقه وآنسهم ومازحهم أحيانا وحادثهم فانه يستديم لك المودة ، وأطعمهم أحياناً ، وتغافل عن زلاتهم واقض حوائجهم وارفق بهم وسامحهم ، ولا تبد لأحد منهم ضيق صدر أو ضجر . وكن كواحد منهم . وعامل الناس معاملتك لنفسك ، وارض منهم ما ترضاه لنفسك . . واستعن على نفسك بالصيانة لها والمراقبة

لاحوالها . ودع الشغب واستمع لمن يستمع منك . ولا تكلف الناس ما لا يكلفونك . وارض لهم مارضوا لأنفسهم وقدم اليهم حسن النية واستعمل الصدق ، واطرح الكبر جانبا . واياك والغدر وان غدروا بك . وأدّ الامانة وان خانوك . وتمسك بالوفاء واعتصم بالتقوى . وعاشر أهل الاديان حسب معاشرتهم . . فانك ان تمسكت بوصيتي هذه رجوت لك أن تسلم

ثم قال له . إنه يحزنني مفارقتك وتؤنسني معرفتك فواصلني بكتبك وعرفني حوائجك وكن لي كالك فاني لك كلي

قال السمتي ثم أخرج الامام دنانير وكسوة وزادا وخرج معي ، وحمل ذلك حمالا ، جمع أصحابه حتى شيّعوني وركب هو معهم حتى بلغنا شط الفرات ثم ودعوني . .

وقدمت البصرة واتبعت وصية الامام فما مرت أيام حتى صار الناس كلهم لي أصدقاء وظهر بالبصرة مذهب أبي حنيفة ، وسقط مذهب الحسن وابن سيرين .

٤٧ — وصية الامام الاعظم لابي يوسف

بعد أن ظهر له منه الرشد وحسن السيرة والاقبال على الناس

قال له الامام أبو حنيفة : يايعقوب وقّر السلطان وعظم منزلته ، وإياك والكذب بين يديه والدخول عليه في كل وقت

مالم يدعك لحاجة علمية ، فانك اذا أكثرت اليه الاختلاف تهاون بك وصغرت منزلتك عنده ، فكن منه كما أنت من النـار تنتفع بها و تتباعد ، ولا تدن منها فان السلطان لايرى لاحد ما يرى لنفسـه ، و اياك و كثرة الكلام بين يديه فانه يأخذ عليك ماقلته ليرى من نفسه بين يدي حاشيته أنه أعلم منك و انه يخطئك فتصغر في أعين قومه ، ولتـكن اذا دخلت عليه تعرف قدرك و قدر غيرك ، ولا تدخل عليه و عنده من أهل العلم من لا تعرفه ،فانك ان كنت أدون حالا منه لعلك تترفع عليه فيضرك وان كنت أعلم منه لعلك تحط عنه فتسقط بذلك من عين السلطـان ، و اذا عرض عليك شيئا من أعماله فلا تقبل منه إلا بعد أن تعـلم أنه يرضاك و يرضى مذهبك في العلم و القضايا كيلا تحتاج الى ارتكاب مذهب غيرك في الحكومات ، ولا تواصل أوليـاء السلطان وحاشيته بل تقرب اليه فقط ، وتباعد عن حاشيته ليكون مجدك و جاهك باقيا

ولا تتـكلم بين يدى العامة إلا بما تسأل عنه ، و اياك والكلام في العامة والتجار الا بما يرجع الى العلم كيلا يوقف على حبك و رغبتك في المال فانهم يسيئون الظن بك و يعتقدون ميلك الى أخذ الرشوة منهم ، ولا تضحك ولا تتبسم بين يدي العـامة ، ولا تكثر الخروج الى الاسواق ، ولا تكلم المراهقين فانهم فتنة

ولا بأس أن تكلم الاطفال وتمسح رؤسهم ، ولا تمش في قارعة الطريق مع المشايخ والعامة فانك ان قدمتهم ازرى ذلك بعلمك وان أخرتهم ازدرى بك من حيث أنه أسن منك فان النبي ﷺ قال « من لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا فليس منا » ولا تقعد على قوارع الطريق فاذا دعاك ذلك فاقعد في المسجد ؛ ولا تأكل في الاسواق والمساجد ولا تشرب من السقايات ولا من أيدي السقائين ولا تقعد على الحوانيت ، ولا تلبس الديباج والحلي وأنواع الابريسم فان ذلك يفضي الى الرعونة . ولا تكثر الكلام في بيتك مع امرأتك في الفراش الا وقت حاجتك اليها بقدر ذلك ولا تكثر لمسها ومسها ولا تقربها الا بذكر الله تعالى ولا تتكلم بأمر نساء الغير بين يديها ولا بأمر الجواري فانها تنبسط اليك في كلامك ولعلك اذا تكلمت عن غيرها تكلمت عن الرجال الاجانب . ولا تتزوج امرأة كان لها بعل أو أب أو أم أو بنت ان قدرت الا بشرط أن لا يدخل عليها أحد من أقاربها ، فان المرأة اذا كانت ذات مال يدعي أبوها أن جميع مالها له وانه عارية في يدها ولا تدخل بيت أبيها ما قدرت ، واياك أن ترضى أن تزف في بيت أبويها فانهم يأخذون أموالك ويطمعون فيها غاية الطمع . واياك وأن تتزوج بذات البنين والبنات فانها

تدخر جميع المال لهم وتسرق من مالك وتنفق عليهم فان الولد أعز عليها منك ، ولا تجمع بين امرأتين في دار واحدة ، ولا تتزوج الا بعد أن تعلم أنك تقدر على القيام بجميع حوائجها . واطلب العلم أولا ثم اجمع المال من الحلال ثم تزوج فانك ان طلبت المال في وقت التعلم عجزت عن طلب العلم ودعاك المال الى شراء الجواري والغلمان وتشتغل بالدنيا والنساء قبل تحصيل العلم فيضيع وقتك ويجتمع عليك الولد ويكثر عيالك فتحتاج الى القيام بمصالحهم وتترك العلم ، واشتغل بالعلم في عنفوان شبابك ووقت فراغ قلبك وخاطرك ثم اشتغل بالمال ليجتمع عندك فان كثرة الولد والعيال يشوش البال فاذا جمعت المال فتزوج وعليك بتقوى الله تعالى وأداء الأمانة والنصيحة لجميع الخاصة والعامة ، ولا تستخف بالناس ، ووقر نفسك ووقرهم ، ولا تكثر معاشرتهم الا بعد أن يعاشروك وقابل معاشرتهم بذكر المسائل فانه ان كان من أهله اشتغل بالعلم وان لم يكن من أهله أحبك ، واياك وان تكلم العامة بأمر الدين في الكلام فانهم قوم يقلدونك فيشتغلون بذلك ، ومن جاءك يستفتيك في المسائل فلا تجب الا عن سؤاله ولا تضم اليه غيره فانه يشوش عليك جواب سؤاله . وان بقيت عشر سنين بلا كسب ولا قوت فلا تعرض عن العلم فانك اذا أعرضت

عنه كانت معيشتك ضنكا ، وأقبل على متفقهيك كأنك اتخذت كل واحد منهم ابنا وولداً لتزيدهم رغبة في العلم ومن ناقشك من العامة والسوقة فلا تناقشه فانه يذهب ماء وجهك ، ولا تحتشم من احد عند ذكر الحق وان كان سلطانا . ولا ترض لنفسك من العبادات الا بأكثر مما يفعله غيرك ويتعاطاها ، فالعامة اذا لم يروا منك الاقبال عليها بأكثر مما يفعلون اعتقدوا فيك قلة الرغبة واعتقدوا ان علمك لا ينفعك الا ما نفعهم الجهل الذي هم فيه ، واذا دخلت بلدة فيها أهل العلم فلا تتخذها لنفسك بل كن كواحد من أهلهم ليعلموا أنك لا تقصد جاههم والا يخرجون عليك بأجمعهم ويطعنون في مذهبك والعامة يخرجون عليك وينظرون اليك بأعينهم فتصير مطعونا عندهم بلا فائدة ، وان استفتوك في المسائل فلا تناقشهم في المناظرة والمطارحات ولا تذكر لهم شيئاً الا عن دليل واضح ولا تطعن في أساتذتهم فانهم يطعنون فيك وكن من الناس على حذر وكن لله تعالى في سرك كما أنت في علانيتك ، ولا تصلح أمر العلم الا بعد أن تجعل سره كعلانيته ، واذا أولاك السلطان عملا لا يصلح لك فلا تقبل ذلك منه الا بعد أن تعلم انه ما يوليك ذلك الا لعلمك ، واياك وان تتكلم في مجلس النظر على خوف فان ذلك يورث الخلل في الاحاطة

و الكلل فى اللسان . و اياك ان تكثر الضحك فانه يميت القلب ، ولاتمش الا على طمأنينة ولا تكن عجولا فى الامور . ومن دعاك من خلفك فلا تجبه فان البهائم تنادى من خلفها ، و اذا تكلمت فلا تكثر صياحك ولا ترفع صوتك و اتخذ لنفسك السكون وقلة الحركة عادة كي يتحقق عند الناس ثباتك ، و اكثر ذكر الله تعالى فيما بين الناس ليتعلموا ذلك منك ، واتخذ لنفسك ورداً خلف الصلاة تقرأ فيه القرآن و تذكر الله تعالى و تشكره على ما أودعك من الصبر و أولاك من النعم و اتخذ لنفسك اياما معدودة من كل شهر تصوم فيها ليقتدى غيرك بك ، وراقب نفسك وحافظ على الغير لتنتفع من دنياك وآخرتك بعلمك ، ولا تشتر بنفسك ولا تبع بل اتخذ لك غلاما مصلحا يقوم بأشغالك و تعتمد عليه فى امورك ولا تطمئن الى دنياك والى ما أنت فيه فان الله تعالى سائلك عن جميع ذلك . ولا تشتر الغلمان المردان . ولا تظهر من نفسك التقرب الى السلطان و ان قربك ، فانه ترفع اليك الحوائج فان قمت أهانك و ان لم تقم أعابك . ولا تتبع الناس في خطاياهم بل اتبع في صوابهم و اذا عرفت انساناً بالشر فلا تذكره به بل اطلب منه خيراً فاذكره به الا في باب الدين فانك ان عرفت في دينه ذلك فاذكره للناس كيلا يتبعوه ويحذروه . وقال عليه السلام

« اذكروا الفاجر بما فيه حتى يحذره الناس وان كان ذا جاه ومنزلة » والذي ترى منه الخلل في الدين فاذكر ذلك ولا تبال من جاهه فان الله تعالى معينك وناصرك وناصر الدين فاذا فعلت ذلك مرة هابوك ولم يتجاسر أحد على اظهار البدعة في الدين. واذا رأيت من سلطانك ما لا يوافق العلم فاذكر ذلك مع طاعتك اياه فان يده أقوى من يدك ، تقول له أنا مطيع لك في الذي انت فيه سلطان ومسلط عليّ غير انى أذكر من سيرتك مالا يوافق العلم فاذا فعلت مع السلطان مرة كفاك لانك اذا واظبت عليه ودمت لعلهم يقهرونك فيكون في ذلك قمع للدين فاذا فعل ذلك مرة أو مرتين ليعرف منك الجهد في الدين والحرص في الامر بالمعروف فاذا فعل ذلك مرة أخرى فادخل عليه وحدك في داره وانصحه في الدين وناظره ان كان مبتدعا ، وان كان سلطانا فاذكر له ما يحضرك من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ فان قبل منك والا فاسأل الله تعالى أن يحفظك منه ، واذكر الموت واستغفر للاستاذ ومن أخذت عنهم العلم ، وداوم على التلاوة ، وأكثر من زيارة القبور والمشايخ والمواضع المباركة ، واقبل من العامة مايعرضون عليك من رؤياهم في النبي ﷺ وفي رؤيا الصالحين في المساجد والمنازل والمقابر ، ولاتجالس أحداً من أهل الاهواء الا

على سبيل الدعوة الى الدين ولا تكثر اللعب والشتم ، واذا أذن المؤذن فتأهب لدخول المسجد كيلا تتقدم عليك العامة ولاتتخذ دارك في جوار السلطان ، وما رأيت على جارك فاستره عليه فانه أمانة ، ولا تظهر أسرار الناس ، ومن استشارك في شيء فأشر عليه بما تعلم انه يقربك الى الله تعالى . واقبل وصيتي هذه فانك تنتفع بها في أولاك وأخراك ان شاء الله تعالى . واياك والبخل فانه يبغض به المرء ، ولا تك طماعا ولا كذابا ولا صاحب تخليط بل احفظ مروءتك في الامور كلها ، والبس من الثياب البيض فى الاحوال كلها ، واظهر غنى القلب مظهراً من نفسك قلة الحرص والرغبة فى الدنيا ، و اظهر من نفسك الغني ولاتظهر الفقر وان كنت فقيرا ، وكن ذا همة فان من ضعفت همته ضعفت منزلته ، واذامشيت فى الطريق فلا تلتفت يمينا ولا شمالا بل داوم النظر الى الارض ، واذا دخلت الحمام فلا تساو الناس في أجرة الحمام والمجلس بل ارجح على ماتعطي العامة لتظهر مروءتك بينهم فيعظمونك ، ولا تسلم الامتعة الى الحائك وسائر الصناع بل اتخذ لنفسك ثقة يفعل ذلك ، ولا تماكس بالحبات والدوانيق ولاتزن الدراهم بل اعتمد على غيرك وحقر الدنيا المحقرة عند أهل العلم فان ماعند الله خير منها . وول أمورك غيرك ليمكنك الاقبال على العلم فان ذلك أحفظ لحاجتك ، واياك أن تكلم المجانين

ومن لايعرف المناظرة والحجة من أهل العلم ، والذين يطلبون الجاه ويستغرقون بذكر المسائل فيما بين الناس فانهم يطلبون تخجيلك ولا يبالون منك وان عرفوك على الحق واذا دخلت على قوم كبار فلا تترفع عليهم مالم يرفعوك كيلا يلحق بك منهم أذية ، واذا كنت في قوم فلا تتقدم عليهم في الصلاة مالم يقدموك على وجه التعظيم ، ولا تدخل الحمام وقت الظهيرة والغداة ، ولا تخرج الى النظارات ولا تحضر مظالم السلاطين الا اذا عرفت انك اذا قلت شيئا ينزلون على قولك بالحق فانهم ان فعلوا مالا يحل وانت عندهم ربما لاتملك منعهم ، ويظن الناس ان ذلك حق لسكوتك فيما بينهم وقت الاقدام عليه ، واياك والغضب في مجلس العلم ولا تقص على العامة فان القاص لابد له أن يكذب ، واذا أردت اتخاذ مجلس لاحد من أهل العلم فان كان مجلس فقه فاحضر بنفسك واذكر فيه ماتعلمه كيلا يغتر الناس بحضورك فيظنون انه على صفة من العلم وليس هو على تلك الصفة وان كان يصلح للفتوى فاذكر منه ذلك والا فلا ولا تقعد ليدرس الآخر بين يديك بل اترك عنده من أصحابك ليخبرك بكيفية كلامه وكمية علمه ، ولا تحضر مجالس الذكر أو من يتخذ مجلس عظة بجاهك وتزكيتك له بل وجه أهل محلتك وعامتك الذين تعتمد عليهم مع واحد من أصحابك وفوض أمر المناكح الى خطيب ناحيتك وكذا صلاة

الجنازة والعيدين ، ولا تنسنى من صالح دعائك واقبل هـذه الموعظة منى وانما أوصيك لمصلحتك ومصلحة المسلمين

٤٨ — مناجاته

كان الامام يناجى ربه فيقول :

إلهى إن كان صغيرا في جنب طاعتك عملى ، فقد كبر في جنب رجائك أملى . إلهى كيف أنقلب بالخيبة محروما ، وظنى بجودك أن تقبلنى مرحوما . إلهى ان عزب رأيى عن تقويم ما يصلحنى ، فما عزب يقينى عنى فيما ينفعنى . إلهى أعززت نفسى بايمانك ، فكيف تذلها بين أطباق نيرانك . إلهي اذا تلونا من كتابك شديد العقاب أشفقنا ، واذا تلونا منه الغفور الرحيم فرحنا . فنحن بين أمرين : لايؤمننا كتابك سخطك ، ولا ييئسنا من رحمتك . ان قصّر سعينا عن استحقاق نظرك . فأفض علينا رحمتك . انك لم تزل بى باراً أيام حياتى ، فلا تقطع برك عنى أيام وفاتى . ان غفرت فبفضلك ، وان عذبت فبعدلك يامن لايُرجى الا فضله ، ولايخشى الا عذابه . ومن شواهد نعماء الكريم استتمام نعمائه . ومن محاسن الجواد استكمال آلائه . إلهي إن أخطأت طريق النظر لنفسي بما فيه كرامتها ، فقد تبينت طريق الفزع بما فيه سلامتها . إلهي، ان كنت غير مستأهل لما

أرجو من رحمتك فأنت أهل أن تجود علي المذنبين بفضلك . إلهى أمرت بالمعروف وأنت أولى به من المأمورين. وأمرت بصلة السؤال وأنت خير المسئولين . إلهى سترت على في الدنيا ذنوبا أنا الى سترها يوم القيامة أحوج فلا تفضحنى بها على رءوس الأشهاد . إلهى لاتردنى عن حاجة أفنيت عمري في طلبها منك . اللهم هب لى توبة نصوحا تذيقني من حلاوتها . ويصل الى قلبي برد رأفتها . اللهم لا أنزل حاجتى إلا بك ولا أطلبها إلا اليك فاقض يارب حاجتى فأنت منتهى الحوائج ، واجعلني في رحمتك مع الأبرار

٤٩ — دعاؤه عند موت ابنه

لما وضع ابنه في قبره قال : اللهم هذا ابني رزقتنيه ومتعتنى به مدة من الدنيا ، وتوفيته بأجله ورزقه ولم تظلم أحدا . اللهم ماوعدتنى عليه من الأجر في مصيبتى هذه فقد وهبتُ جميع ذلك له ، فهب لى عذابه ولا تعذبه . . فأبكى الناس جميعا . .



٨

مذهب أبي حنيفة

كيف استنبطه الامام ـ كيف وضع قواعده ـ عمن
أخذ الفقه ـ قبل حدوث المذاهب ـ نشأة مذهب
الامام ـ البلاد التى انتشر فيها ـ عوامل
انتشاره ـ موازنة بين انتشار مذهب أبى
حنيفة وغيره ـ طبقات أئمة
المذهب وعلمائه ـ طبقات
مسائل المذهب ـ أصول
كتب المذهب
واصطلاحاته

٥٠ — كيف استنبط أبو حنيفة مذهبه؟

كانت طريقة أبي حنيفة في استنباط مذهبه ـ كما قدمنا ـ
ماقاله عن نفسه :

« إني آخذ بكتاب الله تعالى اذا وجدته ، فما لم أجده فيه أخذت بسنة رسوله ﷺ والآثار الصحاح عنه التي فشت بين أيدي الثقات ، فاذا لم أجد في كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ أخذت بقول أصحابه من شئت ، وأدع قول من شئت ، ثم لا أخرج من قولهم الى قول غيرهم . فاذا انتهى الأمر الى ابراهيم والشعبي والحسن وابن سيرين وسعيد بن المسيب ـ وعدد رجالا اجتهدوا ـ فلي أن أجتهد كما اجتهدوا »

٥١ — كيف وضع قواعده ؟

في مسند الخوارزمي أن الامام أبا حنيفة اجتمع معه ألف من أصحابه : أخذوا عنه ، وعاونوه في وضع مسائل المذهب ، وفي اعداد الجواب عنها وأجلّ . هؤلاء الاصحاب وأفضلهم أربعون قد بلغوا حد الاجتهاد ، فقربهم وأدناهم وقال لهم : إني ألجمت هذا الفقه وأسرجته لكم فأعينوني . فكان إذا وقعت واقعة شاورهم وناظرهم وحاورهم وسألهم فيسمع ماعندهم من الأخبار والآثار ، ويقول ماعنده ، ويناظرهم شهرا أو أكثر حتى يستقر آخر الاقوال فيثبته (سكرتيره) أبو يوسف . حتى أثبت أصول المذهب على هذا المنهاج شورى بين أصحابه كما يفعل بالقوانين في أرقى برلمانات العالم المتمدين في هذه الأيام . بل ان أعضاء البرلمانات في هذه الأيام

أكثرهم تتغلب عليه المادة فضلا عن أن أغلبهم ممن لم يمتازوا عن الاميين الا قليلا ، وقد لايحسنون القراءة والكتابة كثيرا ،أما أصحاب أبي حنيفة ـ أو برلمانه ـ فكانوا من صفوة العلماء المبرزين الذين بلغوا درجة الاجتهاد ، ولم يكن للمادةعليهم من سلطان

٥٢ — عمن أخذ الفقه :

سمع الامام كثيرا من علماء التابعين كعطاء بن أبي رباح و نافع مولى ابن عمر

وأخذ الفقه ـ كما قدمنا ـ عن حماد بن أبي سليمان الكوفي الفقية الثقة المتوفى سنة ١٢٠ وأخذ حماد الفقه عن ابراهيم النخعي الكوفي المتوفى سنة ٩٦ وأخذ ابراهيم الفقه عن خاله علقمة بن قيس النخعي فقيه العراق . ولد في حياة رسول الله ﷺ وسمع من عمر ، وعثمان ، وابن مسعود ، وتفقه بابن مسعود وكان أنبل أصحابه . وروى عن ابن مسعود انه قال : ما أقرأ شيئا ولا أعلم شيئا الا وعلقمة يقرؤه ويعلمه . توفي سنة ٦٢ هـ

٥٣ — قبل حدوث المذاهب [1]

كانت الفتيا قبل حدوث المذاهب تؤخذ في عصر الصحابة عن القراء منهم ، وهم الحاملون لكتاب الله العارفون بدلالاته ؛

(١) اعتمدنا ما كتبه العلامة المغفور له تيمورباشا في مجلة (الزهراء) بشأن ذلك

فلما انقضى عصرهم وخلف من بعدهم التابعون اتبع أهل كل مصر فتيا من كان عندهم من الصحابة لايتعدونها الا في اليسير مما بلغهم عن غيرهم . فاتبع أهل المدينة في الاكثر فتاوي عبد الله ابن عمر ، وأهل الكوفة فتاوي عبد الله بن مسعود ، وأهل مكة فتاوي عبد الله بن عباس وأهل مصر فتاوي عبد الله بن عمرو بن العاص [١]

وأتى بعد التابعين فقهاء الأمصار كأبي حنيفة ومالك وغيرهما فاتبع أهل كل مصر مذهب فقيهه في الاكثر ، ثم قضت أسباب بانتشار بعض المذاهب في غير أمصارها وبانقراض بعضها ؛ فلم يطل العمل بمذهب الثوري والبصري لقلة أتباعهما وبطل العمل بمذهب الاوزاعي بعد القرن الثاني وبمذهب أبي ثور بعد الثالث وابن جرير بعد الرابع [٢] كما انقرض غيرها من المذاهب ، الا الظاهري فقد طالت مدته وزاحم الاربعة بل جعله المقدسي في أحسن التقاسيم رابع المذاهب في زمنه أى في القرن الرابع بدل الحنبلي وذكر الحنبلية في أصحاب الحديث وعده ابن فرحون في الديباج الخامس من المذاهب المعمول بها في زمنه أي في القرن الثامن ثم درس بعد ذلك ولم يبق الا الاربعة ، ومذاهب أخرى

---

(١) عن المقريزي والديباج

(٢) عن الديباج

خاصة بطوائف من المسلمين لايعدها جمهورهم من مذاهب أهل السنة . وذكر ابن خلدون أن الظاهري درس بدروس أئمته وانكار الجمهور على منتحله ولم يبق الا فى الكتب وربما يعكف متكلفو انتحاله عليها لاخذ فقههم منها فلا يخلون بطائل ويصيرون الى انكار الجمهور عليهم ، ولم يبق الا مذهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من الحجاز

٥٤ — نشأة مذهب أبي حنيفة وأماكن انتشاره

منشأ هذا المذهب بالكوفة موطن الامام ثم انتشر في سائر بلاد العراق ، ويقال لاصحابه أهل الرأى لان الحديث كان قليلا بالعراق فاستكثروا من القياس ومهروا فيه . ولابي حنيفة مقام في الفقه لايلحق ، شهد له بذلك أهل جلدته وخصوصاً مالك والشافعي [١] . ويذكر أصحاب طبقات الحنفية أن مذهب أبي حنيفة شاع في بلاد بعيدة ومدن عديدة كنواحي بغداد ومصر والروم وبلخ وبخارى وفرغانة وبلاد فارس وأكثر بلاد الهند والسند وبعض بلاد اليمن وغيرها

وفي بعض طبقات للحنفية أن أصحاب أبي حنيفة الذين دوّنوا مذهبه أربعون رجلا منهم أبو يوسف وزفر وأن أول من

---

(١) عن ابن خلدون

كتب كتبه أسد بن عمرو . وفيها أيضاً أن نوح بن أبي مريم عرف بالجامع لأنه أول من جمع فقه أبي حنيفة في قول وقيل . لقب بذلك لجمعه بين علوم كثيرة

٥٥ — عوامل انتشار المذهب

ثم لما قام هارون الرشيد في الخلافة وولّى القضاء أبا يوسف صاحب أبي حنيفة بعد سنة سبعين ومائة أصبحت تولية القضاة بيده فلم يكن يولي ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر الى أقصى عمل إفريقية الا من أشار به ، وكان لا يولي الا أصحابه والمنتسبين الى مذهبه فاضطرت العامة الى أحكامهم وفتاواهم وفشا المذهب في هذه البلاد فشواً عظيما كما فشا المالكى بالاندلس بسبب تمكن يحيى بن يحيى بن كثير من الحكم المنتصر حتى قال ابن حزم « مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان : الحنفي بالمشرق ، والمالكي بالأندلس [1] »

ولم يزل هذا المذهب غالبا على هذه البلاد لايثار الخلفاء العباسيين الحنفية بالقضاء حتى تبدلت الاحوال وزاحمته المذاهب الثلاثة . وبلغ من تمسكهم به في القضاء أن القادر بالله استخلف مرة أبا العباس أحمد بن محمد البارزي الشافعي عن أبي محمد بن

---

(١) عن المقريزي ونفح الطيب وبغية الملتمس

الا كفاني الحنفي قاضي بغـداد باشارة أبي حامد الاسفرايني فاجيب اليه بغير رضا الا كفانى و كتب أبو حامد الى السلطان محمود بن سُبكتكين وأهل خراسان : ان الخليفة نقل القضاء عن الحنفية الى الشافعية . فاشتهر ذلك وصار أهل بغداد حزبين ثارت بينهما الفتن فاضطر الخليفة الى جمع الاشراف والقضاة وأخرج اليهم رسالة تتضمن أن الاسفرايني أدخل على أمير المؤمنين مداخل أوهمه فيها النصح والشفقة والامانة و كانت على أصول الدخل والخيانة فلما تبين له أمره ووضح عنده خبث اعتقاده فيما سأل فيه من تقليد البارزي الحكم بالحضرة من الفساد والفتنة والعدول بأمير المؤمنين عما كان عليه أسلافه من ايثار الحنفية وتقليدهم واستعمالهم صرف البارزي وأعاد الأمر الى حقه وأجراه على قديم رسمه ، وحمل الحنفية على ما كانوا عليه من العناية والكرامة والحرمة والاعزاز وتقدم اليهم أن لايلقوا أبا حامد ولا يقضوا له حقا ولا يردوا عليه سلاما وخلع على أبي محمد الا كفاني وانقطع أبو حامد عن دار الخلافة وظهر التسخط عليه والانحراف عنه وذلك في سنة ٣٩٣ واتصل ببلاد الشام ومصر[١] و كان الغالب على إفريقية السنن والآثار الى أن قدم عبـد

---

(١) عن المقريزى

الله بن فرّوخ أبو محمد الفارسي بمذهب أبي حنيفة ثم غلب عليها لمّا ولى قضاءها أسد بن الفرات بن سنان [١] ثم بقي غالباً عليها حتى حمل المعز بن باديس أهلها على مذهب مالك [٢] وهو الغالب الى اليوم على أهلها الا قليلا منهم يقلدون المذهب الحنفي. وفي الديباج لابن فرحون أن الحنفي ظهر ظهوراً كثيراً بأفريقية الى قريب سنة ٤٠٠ فانقطع ودخل منه شيء ماوراءها من المغرب قديماً بالأندلس ومدينة فاس. وفي أحسن التقاسيم للمقدسي أن أكثر أهل صقلية حنفيون وذكر أيضاً أنه سأل بعض أهل المغرب « كيف وقع مذهب أبي حنيفة رحمه الله اليكم ولم يكن على سابلتكم ؟ قالوا: لما قدم وهب بن وهب من عند مالك رحمه الله وقد حاز من الفقه والعلوم ماحاز استنكف أسد بن عبد الله أن يدرس عليه لجلالته وكبر نفسه فرحل الى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلا فلما طال مقامه عنده قال له ارجع الى ابن

---

(١) عن المقريزى . والمراد بافريقية مايشمل طرابلس وتونس والجزائر وجعلها بعضهم اقل من ذلك وتفصيل الخلاف فيها ليس هذا موضعه . ويستفاد من معالم الايمان ان ابن فروخ سمع من الامامين مالك وابي حنيفة وكان اعتماده على مالك ولكنه كان يميل الى قول اهل العراق اذا ظهر عنده صوابه وسمع ابن الفرات من مالك واصحاب ابي حنيفة ونشر مذهب اهل العراق بافريقية لسبب ترك صاحب المعالم ذكره . وذكر ابن خلدون انه كتب عن اصحاب ابي حنيفة أولا ثم انتقل الى مذهب مالك .

(٢) عن الكامل لابن الاثير وكانت ولاية المعز سنة ٤٠٧ وتوفي سنة ٤٥٣

وهب فقد أودعته علمي وكفيتكم به الرحلة فصعب ذلك على أسد وسأل هل يعرف لمالك نظير فقالوا فتى بالكوفة يقال له محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة . قالوا فرحل اليه وأقبل عليه محمد اقبالا لم يقبله على أحد ورأى فهماً وحرصاً فزقه الفقه زقاً . فلما علم انه قد استقل وبلغ مراده فيه سيبه الى المغرب فلما دخلها اختلف اليه الفتيان ورأوا فروعاً حيرتهم ودقائق أعجبتهم ومسائل ماطنت على أذن ابن وهب ، وتخرج به خلق وفشا مذهب أبي حنيفة رحمه الله بالمغرب . قلت فلم لم يفش بالأندلس ؟ قالوا لم يكن بالأندلس أقل منه هاهنا ولكن تناظر الفريقان يوماً بين يدي السلطان فقال لهم : من أين كان أبو حنيفة ؟ قالوا من الكوفة فقال ومالك ؟ قالوا من المدينة . قال عالم دار الهجرة يكفينا . فأمر باخراج أصحاب أبي حنيفة وقال لا أحب أن يكون فى عملي مذهبان وسمعت هذه الحكاية من عدة من مشايخ الأندلس » انتهى . قلنا وفي هذه القصة مالايخلو من نظر فن وهب بن وهب هذا لا نعلم أحداً ذكره فيمن أخذ عن الامام مالك وانما الآخذ عنه عبد الله بن وهب وهو لم يرحل الى المغرب بل كان بمصر ومات بها .

وأما أسد بن عبد الله فصوابه على مايظهر أبو عبد الله ويكون المراد به أبا عبد الله أسد بن الفرات فهو الذي لقي محمد بن الحسن وتفقه بأصحاب الامام أبي حنيفة ونشر مذهبه بافريقية وذلك

بعد أن رحل الى الامام مالك وأخذ عنه ولم يصادفه عليلا فأحاله على ابن وهب كما ذكروا بل قال له لما استزاده بعد فراغه من السماع منه حسبك ماللناس أو حسبك يامغربي ان أحببت الرأي فعليك بالعراق

وكان أهل مصر لايعرفون هذا المذهب حتى ولّي قضاءها اسماعيل بن اليسع الكوفي من قبل المهدي سنة ١٦٤ وهو أول قاض حنفي بمصر وأول من أدخل اليها مذهب أبي حنيفة وكان من خير القضاة الا أنه كان يذهب الى إبطال الاحباس فثقل أمره على أهل مصر وقالوا أحدث لنا أحكاماً لانعرفها ببلدنا فعزله المهدي [١] ثم فشا فيها بعد ذلك مدة تمكن العباسيين الا أن القضاء بها لم يكن مقصوراً على الحنفية بل كان يتولاه الحنفيون تارة والمالكيون أو الشافعيون أخرى [٢] الى أن استولى عليها الفاطميون فأظهروا مذهب الشيعة الاسماعيلية وولوا القضاة منهم فقوي هذا المذهب بالدولة وعمل بأحكامه الا أنه لم يقض على المذاهب السنية في العبادات لأنهم كانوا يبيحون للرعية التعبد بما يشاءون من المذاهب . قال في صبح الأعشى انهم كانوا يتألفون أهل السنة

---

(١) عن « طبقات الحنفية » المتقدم ذكرها و « رفع الاصر » للحافظ ابن حجر و « قضاة مصر » لعلي بن عبد القادر الطوخي

(٢) عن المقريزي

والجماعة ويمكنونهم من اظهار شعائرهم على اختلاف مذاهبهم ولا يمنعون من اقامة صلاة التراويح في الجوامع والمساجد [١] على مخالفة معتقدهم في ذلك ومذاهب مالك والشافعي وأحمد ظاهرة الشعار في مملكتهم بخلاف مذهب أبي حنيفة ، ويراعون مذهب مالك ومن سألهم الحكم به أجابوه انتهى. قلنا بل قد أقام وزيرهم أبو على احمد بن الأفضل ابن أمير الجيوش قضاة من المالكية والشافعية لما حجر على الخليفة الحافظ لدين الله وسجنه فانه أعلن بمذهب الامامية وأقام أربعة قضاة : اثنان شيعيان أحدهما إمامي والآخر اسماعيلى ، واثنان سنيان أحدهما مالكي والآخر شافعي ، فكان كل قاض منهم يحكم بمذهبه ويورث بمقتضاه .

فلما قتل أبو علي عاد الأمر الى ما كان عليه من مذهب الاسماعيلية [٢] ، ويظهر لنا أن غض الفاطميين من المذهب الحنفي لم يكن الا لأنه مذهب الدولة العباسية المناوئة لهم في المشرق

ثم لما قامت الدولة الأيوبية بمصر وكان سلاطينها شافعية قضوا على التشيّع فيها وأنشاوا المدارس للفقهاء الشافعية والمالكية وكان نور الدين الشهيد حنفياً فنشر مذهبه ببلاد الشام ومنها

---

(١) وقع ان بعض خلفائهم كانوا يمنعون الناس من صلاة التراويح وعاقب احدهم شخصاً وجد عنده الموطأ ، فمراد القلقشندى ماكان متبعا عندهم في الغالب

(٢) عن المقريزى وغيره

كثرت الحنفية بمصر ، وقدم اليها عدّة من بلاد المشرق فبنى لهم صلاح الدين الايّوبيّ المدرسة السيوفية بالقاهرة وما زال مذهبهم ينتشر ويقوى وفقهاؤهم تكثر بمصر والشام من حينئذ ولكن لم يبلغ المذهب مبلغه في القوة والكثرة بمصر إلا في آخر هذه الدولة [١] وأول من رتّب دروساً أربعة للمذاهب الاربعة في مدرسة واحدة الصالح نجم الدين أيوب في مدرسته الصالحية بالقاهرة سنة ٦٤١ [٢] ثم كثر هذا النوع من المدارس في الدولتين التركية والجركسية وحدث في الاولى جعل القضاة أربعة فعاد الحنفية الى القضاء بعد انقطاعه عنهم مدة الفاطميين والاقتصار مدة الايوبيين على نوّاب منهم ومن المالكية والحنابلة عن القاضي الشافعي . ثم لما استولى العثمانيون على مصر حصروا القضاء في الحنفية وأصبح الحنفي مذهب أمراء الدولة وخاصتها ورغب كثيرون من أهل العلم فيه لتولّي القضاءالا أنه لم ينتشر بين أهل الريف والصعيد [٣] انتشاره في المدن ولم يزل كذلك الى اليوم

أما بدء دخوله في سائر البلاد الاسلامية فيعسر تعيينه لكل بلد ، وغاية ما وقفنا عليه من انتشاره في القرن الرابع ما ذكره

---

(١) عن المقريزي (٢) عن المقريزي وتحفة الاحباب للسخاوي

(٣) كانوا قديما يعبرون بالريف عن الوجه البحرى وبالصعيد عن الوجه القبلى كما هو الآن في ذلك

المقدسي في أحسن التقاسيم في كلامه على كل اقليم و منه يعلم أنه كان الغالب على أهل صنعاء و صعدة باليمن و الغالب على فقهاء العراق و قضاته و كان منتشراً بالشام تكاد لا تخلو فيها قصبة أو بلد من حنفي وربما كان القضاة منهم ، الا أن أكثر العمل فيها كان على مذهب الفاطمي في زمنه أي كما كان بمصر . وكان في اقليم الشرق أي خراسان وسجستان وما وراء النهر وغيرها الا في بلاد منها ذكرها كان أهلها شافعية . وكان أهل جرجان و بعض طبرستان من اقليم الديلم حنفية . وكان غالباً على أهل ذبيل من اقليم الرحاب الذي منه الران وأرمينية وأذربيجان و تبريز وموجوداً في بعض مدنه بلا غلبة . وكان غالبا على أهل الري من اقليم الجبال وكثيراً في اقليم خوزستان المسمى قديما بالاهواز [١] وكان لهم به فقهاء وأئمة وكبراء . وكان باقليم فارس كثير من الحنفية الا أن الغلبة كانت في السفيين للظاهرية وكان القضاء فيهم . وكانت قصبات السند لا تخلو من فقهاء حنفية

وفي معجم البلدان لياقوت ان أهل الري كانوا ثلاث طوائف شافعية وهم الاقل وحنفية وهم الاكثر وشيعة وهم السواد الاعظم ثم فني أهل المذهبين وغلب الشافعية على ما سيأتي وذكر أيضا

---

(١) هو المسمى الآن بالمحمرة

أن أهل سجستان كانوا حنفية . وذكر ابن تغري بردي في المنهل الصافي أن ملوك بنجالة بالهند كانوا جميعا حنفية

*

ويتبع الحنفية في العقائد مذهب الامام أبي منصور محمد الماتريدي الحنفى وليس بين أصحابه وأصحاب الامام الاشعرى خلاف الافي بضع عشرة مسألة . ومنهم أشعرية ولكن على قلة حتى قيل : من المستظرف أن يكون حنفى أشعريا [(١)] . والذى في طبقات السبكى أن الحنفية أكثرهم أشاعرة أعنى يعتقدون عقيدة الاشعرى لا يخرج منهم الا من لحق بالمعتزلة وذكر أنه تأمل عقيدة الطحاوى التي زعم أنها ما كان عليه الامام أبو حنيفة وصاحباه فلم يجد فيها الا ثلاث مسائل خالف فيها الاشعرية ثم تصفح كتب الحنفية فوجد المسائل التي يخالفون فيها الاشعرية في العقائد ثلاث عشرة مسألة منها ست معنوية والباقي لفظي . قلنا وكأنه يريد ان خلافهم فى هذه المسائل لا يخرجهم عن كونهم أشعرية وان تسموا بالماتريدية لتصريحه بعد ذلك بأنها كالمسائل التي اختلف فيها الاشاعرة فيما بينهم ولأن المسائل الثلاث عشرة لم تثبت جميعها عن الشيخ ولا عن الامام أبي حنيفة .

---

(١) عن الكامل لابن الاثير والفوائد البهية

٥٦ — مبلغ انتشار مذهب أبي حنيفة الآن والموازنة بينه وبين المذاهب الاخرى فى ذلك

الغالب على المغرب الاقصى الآن المذهب المالكي وهو الغالب أيضاً على الجزائر وتونس وطرابلس لا تكاد تجد فيها من مقلدي غيره الا الحنفية بقلة وهم من بقايا الأسر التركية أكثرهم في تونس ومنهم أفراد بيت الامارة بها ولهذا تمتاز حاضرتها بالقضاء الحنفي مشاركا للقضاء المالكي وأما سائر أعمالها فقضاتها مالكية. وفي الحاضرة كبيرا المفتين وهما الحنفي ويلقب بشيخ الاسلام وله التقدم والزعامة المعنوية على الجميع والمالكي وله المقام الثاني وقد تساهلوا الآن في تلقيبه بشيخ الاسلام أيضا. ومع قلة المقلدين للمذهب الحنفي فان من السنن المتبعة عندهم أن يكون نصف مدرّسي جامع الزيتونة حنفية والنصف مالكية. وانما امتاز الحنفي بذلك لكونه مذهب الاسرة المالكة

ويغلب فى مصر الشافعي والمالكي الاول فى الريف والثانى فى الصعيد والسودان ويكثر الحنفي وهو مذهب الدولة والمتبع فى الفتوى والقضاء والحنبلي قليل بل نادر. ويغلب الحنفى في بلاد الشام يكاد يشمل نصف أهل السنة بها والربع شافعية والربع حنابلة. ويغلب الشافعى على فلسطين ويليه الحنبلي فالحنفى

فالمالكي ويغلب الحنفي على العراق ويليه الشافعي وبه مالكية وحنابلة . والغالب على الاتراك العثمانيين والالبان وسكان بلاد البلقان الحنفي وعلى بلاد الاكراد الشافعي وهو الغالب على بلاد ارمينية لان مسلميها من أصل تركماني أو كردي . والسنيون من أهل فارس أغلبهم شافعية وقليل منهم حنفية . والغالب على بلاد الافغان الحنفي ويقل الشافعي والحنبلي . وعلى تركستان الغربية التي منها بخارى وخيوة الحنفي وأما تركستان الشرقية المسماة أيضاً بالصينية فكان الغالب عليها الشافعي ثم تغلب الحنفي بسعي العلماء الواردين عليها من بخارى . والغالب على بلاد القوقاز وما والاها الحنفي وفيهم شافعية

والغالب في الهند الحنفي ويقدر اتباعه بنحو ٤٨ مليوناً وأتباع الشافعي بنحو مليون ويكثر بها أهل الحديث والآثار وفيها مذاهب أخرى مما لم نتعرض لذكره . ومسلمو جزيرة سرنديب (سيلان)وجزائر الفلبين والجاوة وما جاورها من الجزائر شافعية وكذلك مسلمو سيام ولكن بها حنفية بقلة وهم النازحون اليها من الهنود . ومسلمو الهند الصينية شافعية وكذلك مسلمو استرالية وفي البرازيل من أميركة نحو ٢٥ ألف مسلم حنفية وفي البلاد الاميركية الأخرى مسلمون مختلفو المذاهب وتبلغ عدّة الجميع نحو ١٤٠ ألفاً

والغالب على الحجاز الشافعي والحنبلي وفيه حنفية ومالكية في المدن وأهل نجد حنابلة وأهل عسير شافعية والسنيون في اليمن وعدن وحضرموت شافعية أيضا وقد يوجد بنواحي عدن حنفية . والغالب على عُمان مذهب الاباضية ولكنها لاتخلو من حنابلة وشافعية . ويغلب على قَطَر والبحرين المالكي وفيهما حنابلة من الواردين عليهما من نجد . والغالب على أهل السنة في الاحساء الحنبلي والمالكي . والغالب على الكويت المالكي والله أعلم

معلومات لا بد منها عن مذهب أبي حنيفة

٥٧ — طبقات أئمة المذهب وعلمائه

من الواجب على المفتي المقلد أن يعلم حال من يفتي بقوله من حيث : قواه الفطرية ، واصابة الرأي ، وسداد العقل ، وقوة الحجة ، وسلامة الذوق ، ونباهة الفكر ، وحضور البديهة ، ودرجته في الرواية والدراية ، وقوته في السماع والحفظ ومعرفة الآثار والاخبار ليمكنه أن يميز بين القائلين المتخالفين ، ويرجح بين القولين المتعارضين . وهذا يستدعي معرفة طبقات الفقهاء التي نجملها فيما يلي :

الطبقة الاولى :

طبقة المجتهدين في الشرع : كأبي حنيفة ، وأبي يوسف ، ومحمد ، وزفر ، والحسن . . فهؤلاء هم الاربعة الذين انتشر بهم مذهب أبي حنيفة وهم الذين وضعوا مسائل الفقه وأعدوا الجواب عنها . ولم تكن نسبتهم الى الامام نسبة المقلّد الى المقلَّد بل نسبة المتعلم إلى المعلم مع استقلالهم بما به يفتون ، ولم يكونوا يقفون عند ما أفتى به أستاذهم بل كانوا يخالفونه إذا ظهر لهم من المعاني والآثار ما يوجب الخلاف فهؤلاء الأئمة الاربعة ليسوا مقلدين لأبي حنيفة لان التقليد ما كان نشأ في المسلمين في زمنهم بل كان المفتون مستقلين في الفتوى ـ بناء على ما يظهر لهم من الأدلة ـ سواء عليهم أخالفوا أساتذتهم أم وافقوهم . ولم تكن نسبة أبي يوسف ومحمد الى أبي حنيفة الا كنسبة الشافعي الى مالك

وليس بصحيح في الجملة قول بعضهم : « إن أقوال أصحاب أبي حنيفة كلها روايات عنه »

ومع هذا فما خالف فيه الاصحاب الامام لا يخرج عن مذهبه إذا رجحه شيوخ المذهب وكذا ما بنوه على العرف الحادث بتغير الزمان أو للضرورة أو غير ذلك لأن مارجحوه

لترجح دليله عندهم مأذون به من الامام اذ قال : « إن توجه لكم دليل فقولوا به » لكن لا ينبغى أن يقال في مثل هذا قال أبو حنيفة كذا ، وانما يقال : مقتضى مذهب أبي حنيفة كذا

الطبقة الثانية :

طبقة المجتهدين في المذهب : وهم القادرون على استنباط الاحكام من القواعد التي قررها أئمة المذهب . وهؤلاء وان خالفوا في بعض أحكام الفروع أئمتهم لكنهم يقلدونهم في الاصول . ومن هذه الطبقة : الخصاف المتوفى سنة ٢٦١ . والطحاوي المتوفى سنة ٣٢١ . والكرخي المتوفى سنة ٣٤٠ والجصاص المتوفى سنة ٣٧٠ ، والجرجاني المتوفى سنة ٣٩٨ والحلواني المتوفى سنة ٤٤٨ ، والسرخسي المتوفى سنة ٥٠٠ ، والبزدوي المتوفى سنة ٥٥٧ ، وقاضيخان المتوفى سنة ٥٩٢

ومن هذه الطبقة ظهر تخريج المسائل وتعليل الاحكام وتدوين أصول فقه المذهب

الطبقة الثالثة :

طبقة أهل الترجيح بين الآراء المختلفة فى المذهب من جهة الرواية أو الدراية

ومن هذه الطبقة القدوري المتوفى سنة ٤٢٨ ، والمرغيناني صاحب الهداية المتوفى سنة ٥٩٣ ، والكمال بن الهمام المتوفى سنة ٨٦١

الطبقة الرابعة :

طبقة المقلدين القادرين على التمييز بين الاقوى والقوي وظاهر الرواية والرواية النادرة كأصحاب المتون الاربعة: الموصلي صاحب المختار المتوفى سنة ٦٨٣ هـ ، وابن الساعاتي صاحب مجمع البحرين المتوفى سنة ٦٩٤ ، والنسفي صاحب الكنز المتوفى سنة ٧١٠ ، والمحبوبي صاحب الوقاية

٥٨ـــ طبقات مسائل المذهب

مسائل مذهب أبي حنيفة وأصحابه على ثلاث طبقات :

الاولى ـ مسائل الاصول ، وتسمى ظاهر الرواية : وهي مسائل رويت عن أئمة المذهب : أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد وزفر والحسن وغيرهم ممن أخذ الفقه عن الامام الأعظم . لكن الغالب في ظاهر الرواية أن يكون قول الثلاثة الأولين أو قول بعضهم . ومسائل الأصول أو ظاهر الرواية هذه ـ هي ما وجدت

في كتب محمد التي هي : المبسوط . والزيادات . والجامع الصغير . والجامع الكبير . والسير الصغير . والسير الكبير

وانما سميت بظاهر الرواية لأنها رويت عن محمد بروايات الثقات فهي ثابتة عنه : إما بطريق الشهرة ، أو التواتر

الثانية ـ مسائل النوادر : وهي مسائل مروية عن أئمة المذهب المذكورين لكن لافي الكتب المذكورة بل في كتب أخرى لمحمد كالكيسانيات والهارونيات والجرجانيات والرقيات أو في كتب غير كتب محمد كالمجرد للحسن والأمالى لأبي يوسف والمسائل المروية بروايات مفردة كرواية ابن سماعة وابن منصور وغيرهما في مسائل معينة . وما كان من هذا القبيل فهو نازل في الدرجة عن مسائل ظاهر الرواية نظرا الى عدم شهرة هذه الروايات وانحطاط رواتها عن رواة ظاهر الرواية في الثقة والضبط

الثالثة ـ مسائل الفتاوى للوقائع والنوازل : وهي مسائل استنبطها الفقهاء المتأخرون لما سئلوا عنها ولم يجدوا فيها رواية عن أئمة المذهب المتقدمين . وقد ذكر المتأخرون هذه المسائل مختلطة كما في فتاوى قاضيخان . وبعضهم ميزها كصاحب المحيط فانه ذكر اولا الاصول ثم النوادر ثم الفتاوى

٥٩ — أصول كتب المذهب واصطلاحاته

أما أصول كتب المذهب فقد عرف مبسوط محمد بالاصل لانه صنف أولا ، ثم الجامع الصغير ، ثم الجامع الكبير ، ثم الزيادات . ولذا يعول على ما في الجامع الصغير لانه متأخر عن المبسوط

وسبب تأليف الجامع الصغير طلب أبي يوسف من محمد أن يجمع له كتابا يرويه عنه عن أبي حنيفة ، فجمعه له ثم عرضه عليه فأعجب به وقد قرأ محمد أكثر الكتب على أبي يوسف الا ما كان فيه اسم الكبير . فكل تأليف لمحمد موصوف بالصغير فهو باتفاق الصاحبين : أبي يوسف ومحمد . وما لم يَحكِ فيه محمد خلافا فهو قولهم جميعا ، وحينئذ لا يعدل عنه . فان اختلفوا فلا يعدل عن قول الامام متى وافقه أحدهما : أبو يوسف أو محمد . وأما اذا انفرد عنهما بجواب وخالفاه فيه : فان انفرد كل منهما بجواب أيضاً ، بان لم يتفقا على شيء واحد ، فالظاهر ترجيح قوله أيضاً . واما اذا خالفاه واتفقا على جواب واحد حتى صار هو في جانب وهما في جانب ، فان لم يكن المفتي مجتهداً : أخذ بقول الامام ، وان كان مجتهداً نظر في الدليل ، ثم افتى بما ظهر له . ولا يتعين عليه قول الامام . وان كان اختلافهم اختلاف عصر

وزمان : فانه يؤخذ بقول الصاحبين لتغير أحوال النـاس .
واذا لم يوجد للأئمة الثلاثة قول يؤخذ بقول زفر والحسن وغيرهما الاكبر فالاكبر الى آخر كبار الاصحاب . واذا لم يوجد في الحادثة عن واحد منهم جواب ، وأجاب عنه السلف أو العلماء المتأخرون ولم يختلفوا في ذلك . أخذنا بما أجابوا عنه . فان اختلفوا أخذ بقول الـكبار من السلف كمن ذكرناهم في الطبقة الثانية . وان لم يوجد منهم جواب ، ينظر المفتي نظر المتأمل المتدبر ليخرج من العهدة ، ولا يتكلم جزافا فان الله رقيب شهيد

ورجح العلماء قول الامام أبي حنيفة في العبادات ، وقول أبي يوسف في القضاء ، وقول محمد في توريث ذوى الأرحام

ورجحوا الاستحسان على القياس الا في مسائل

ورجحوا مسائل ظاهر الرواية على غيرها

فالقاضي المقلد لا يجوز له أن يحكم الا بما هو ظاهر الرواية ، لا بالروايات الشاذة الا أن ينصوا على انها هي المأخوذ بها .
واذا لم ترد المسألة في ظاهر الرواية ، وثبتت في رواية أخرى تعين المصير اليها

٩

مذهب ابي حنيفة ايضا

الانتقادات والملاحظات التى أبديت على مذهب أبى حنيفة ـ الرد عليها ـ مقارنة بين مذهب أبى حنيفة وغيره ـ أبو حنيفة من أعيان الحفاظ ـ القراءات الشاذة المنسوبة للامام

---

٦٠ ـ نقد المذهب والرد عليه

تلخص الانتقادات والملاحظات التى أبديت على منهب أبي حنيفة في مسألتين :

الأولى ـ ادعاؤهم ان الامام يستعمل الرأي ويقدم القياس على النص

الثانية ـ ضعف أدلة المذهب

المسألة الاولى :

قال بعض المتهورين في دينهم المتعصبين على الامام الأعظم :

انه يستعمل الرأي ويقدم القياس على نصوص الشارع

وما كانوا بمحقّين في هذه الانتقادات ، ولا أصابوا في إبداء هذه الملاحظات ، فليس الرأي بمذموم ولا القياس إلا إذا لم يكن مندرجاً تحت أصل من أصول الشريعة ، ولم يصادف قاعدة من قواعدها . وكل كلام شهدت له الشريعـة بالصحة ، أو وافق الأصول أو اندرج تحت القواعد : فهو السُّنَّة . وليس من الرأي في شيء

جاء في السنن الـكبرى للبيهقي في باب القضاء : ان الرأي المذموم هو كلّ مالا يكون مشبهـا بأصل ؛ وعلى ذلك يحمل كل ما ورد في ذم الرأي

وأبو حنيفة كان نسيج وحده عقلا وحكمة وزهداً وعبادة وورعا وتقوى وكمالا واحتياطاً في الدين فهو أكبر من أن يقول في دين الله بغير دليل

وقد أجمع العلماء قاطبة على ورعه وكثرة احتياطه وخوفه من الله تعالى ، فلا ينشأ عنه من الاقوال إلا ما كان على شاكلة حاله . وقد قدمنا شيئا من ذلك فيما كتبناه في هذه السيرة

فجميع ما استنبطه الامام مما شهدت له الشريعـة الغراء بالصحة ، وقد اقتبسه من أشعة نورها ، وجميعه موافق لقواعدها ومنـدرج تحت أصولها .

ونستدل على ذلك بما قدمناه في هذه المناقب وبما يلي :

١ ـ روى الخطيب والقاضي الصيمري عن الحافظ يحيى بن الضريس قال : شهدت سفيان الثوري وأتاه رجل له مقدار في العلم والعبادة ، فقال له : يا أبا عبد الله ما تنقم على أبي حنيفة ؟ قال : وما له ؟ قال : قد سمعته يقول قولاً فيه إنصاف « آخذ بكتاب الله تعالى ، فان لم أجد في كتاب الله تعالى ، فبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فان لم أجد في سنة رسول الله ﷺ أخذت بقول أصحابه من شئت منهم وأدع من شئت ، وما أخرج عن قولهم الى قول غيرهم ، فأما اذا انتهى الأمر وجاء الى ابراهيم والشعبي وابن سيرين والحسن وعطاء وسعيد بن المسيّب ـ وعدّ رجالا ـ فقوم اجتهدوا ، فأجتهد كما اجتهدوا » قال : فسكت سفيان . وقد ذكرنا ذلك آنفاً

٢ ـــ وروى الخطيب وأبو عبد الله بن خسرو عن الفضيل ابن عياض قال : كان أبو حنيفة إذا وردت عليه مسألة فيها حديث صحيح اتبعه ، وان كان عن الصحابة والتابعين فكذلك ، والا قاس فأحسن القياس

٣ ـــ وروى الخطيب أيضاً عن أبي حمزة السكري . قال سمعت الامام أبا حنيفة يقول : اذا جاء الحديث عن رسول الله

ﷺ لم أعدل عنه الى غيره ، وآخذ به ، واذا جاء عن أصحابه تخيرت ، واذا جاء عن التابعين زاحمتهم

٤ ـ وروى الخطيب أيضاً عن أبي غسان قال : سمعت اسرائيل يقول : كان نعم الرجل النعمان ، ما كان أحفظه لكل حديث فيه فقه ، وأشد فحصه عنه ، فأكرمه الخلفاء والأمراء والوزراء ، وكان اذا ناظره رجل في شيء من الفقه أهمته نفسه . ولقد كان مسعر يقول : من جعل أبا حنيفة بينه و بين الله تعالى رجوت ألاّ يخاف ، ولا يكون فرط لنفسه

٥ — وروى أيضاً عن الامام عبد الله بن المبارك قال : اذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين ، واذا جاء عن الصحابة اخترنا ولم نخرج عن قولهم ، واذا جاء عن التابعين زاحمتهم

٦ — وروى أبو عبد الله محمد بن سفيان في تاريخه عن نعيم بن عمر قال : سمعت الامام أبا حنيفة يقول : عجب الناس يقولون أفتى بالرأي ، ما أفتى إلا بالأثر

٧ — وروى أبو المظفر السمعاني في كتاب الانتصار ، وأبو اسماعيل الهروي في ذم الكلام عن نوح الجامع قال : قلت لابي حنيفة ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في

الأعراض والأجسام ؟ فقال : مقالات الفلاسفة ، عليك بالاثر وطريقة السلف ، وإياك وكل محدثة فانها بدعة

٨ — وروى الخطيب عن الحسن بن زياد قال قال الامام أبو حنيفة : رأينا هذا أحسن ما قدرنا عليه ، فمن جاء بأحسن من قولنا فهو أولى بالصواب منّا

٩ — وروى الموفق بن احمد عن الحسن بن زياد قال : قال الامام أبو حنيفة : ليس لأحد أن يقول برأيه مع كتاب الله تعالى ، ومع سنة رسوله ﷺ ولا مع ما أجمع عليه الصحابة . وأما ما اختلفوا فيه فنتخير من أقاويلهم أقربه إلى كتاب الله تعالى والسُّنة ولا نجتهد ، وما جاوز ذلك فالاجتهاد بالرأي يوسع الفقه لمن عرف الاختلاف وقاس . وعلى هذا كانوا

١٠ — وروى أبو المؤيد الخوارزمى عن الامام ابن المبارك قال : ما تكلم أبو حنيفة بشيء الا بحجة من كتاب الله تعالى ، أو سنة نبيه ﷺ

١١ — وروى القاضي الصيمري عن الحافظ معمر بن راشد قال : ما أعرف رجلا يتكلم في الفقه ويسعه أن يقيس ويستخرج من الفقه أحسن معرفة من الامام أبي حنيفة ، ولا أشفق على نفسه من أن يدخل في دين الله من الشك من أبي حنيفة

١٢ — وروى أيضاً عن ابن شُبْرُمة قال : إن كان يجوز لأحد أن يتكلم في دين الله تعالى برأيه فأبو حنيفة

١٣ — وروى أيضاً عن زهير بن معاوية قال : كنت عند الامام أبي حنيفة ، والابيض بن الأعز يقايسه في مسألة يديرونها بينهم ، فصاح رجل من ناحية المسجد ظننته من أهل المدينة : ما هذه المقايسات ؟ دعوها ، فأول من قاس إبليس . فأقبل عليه الامام أبو حنيفة وقال : يا هذا وضعت الكلام في غير موضعه ، إبليس ردّ على الله تعالى أمره : قال سبحانه وتعالى « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه » وقال تبارك وتعالى : « فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين » وقال عز وجل : « إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين » وقال : « أأسجد لمن خلقت طينا » فاستكبر ورد على الله تعالى أمره ؛ وكل من رد على الله تعالى أمره فهو كافر

وهذا القياس الذي نحن فيه نطلب فيه اتباع أمر الله تعالى لأنّا نردّ الى أمر الله تعالى في كتابه ، أو الى سُنّة سنّها رسول الله ﷺ ، أو الى اتفاق الصحابة والتابعين ؛ فنجتهد في ذلك حتى نرده الى كتاب الله ، أو الى سنة رسول الله ﷺ أو الى قول الأئمة

من أصحابه والتابعين ـ فاتبعنا أيضاً في ردّنا الى كتاب الله وسنة رسوله والاجماع أمر الله تعالى . قال الله تعالى « يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر » . فنحن ندور حول الاتباع ؛ فنعمل بأول أمر الله تعالى ، وابليس حيث قاس خالف أمر الله تعالى ورده . فكيف يستويان ؟

فقال الرجل غلطتُ يا أبا حنيفة وتُبْتُ فنوّر الله تعالى قلبك كما نورتَ قلبي

١٤ — وروى أيضا عن اسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة قال : قال أبو حنيفة : هذا الذي نحن فيه رأى لانجبر عليه أحدا ، ولا نقول يجب على أحد قبوله ، فمن كان عنده أحسن منه فليأت به نقلده .

١٥ — قال أبو محمد بن حزم : جميع أصحاب أبي حنيفة مجمعون على أن مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث أولى عنده من القياس والرأى .

١٦ — وقال أبو مطيع البلخى : كنت جالسا مع الامام أبي حنيفة في جامع الكوفة ، فدخل عليه سفيان الثورى ، ومقاتل بن

حيان ، وحماد بن سلمة ، وجعفر الصادق ، وغيرهم من الفقهاء ؛ فكلموا أبا حنيفة وقالوا : بلغنا أنك تكثر من القياس في الدين وأول من قاس إبليس . فناظرهم الامام يوم الجمعة من بكرة النهار الى قرب الزوال وعرض عليهم مذهبه وقال : إني أقدم العمل بالكتاب ثم بالسنة ثم أنظر في أقضية الصحابة ، فاذا اختلفوا ولم يتفقوا على شيء قِستُ حينئذ . فقبلوا يده وقالوا : أنت سيد العلماء . فاعف عنا مامضى من وقيعتنا فيك بغير علم . فقال : غفر الله لنا ولكم أجمعين .

١٧ — وقال الامام أبو جعفر البلخي : مما كان كتبه الخليفة أبو جعفر المنصور الى الامام أبي حنيفة قبل أن يجتمع به : بلغنى أنك تقدم القياس على الحديث . فقال : ليس الامر كما بلغك ؛ فأعلم من بلّغك أنى أعمل أولا بكتاب الله ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بأقضية الصحابة . ثم أقيس بعد ذلك . وليس بين الله وبين خلقه قرابة .

ولعل مراد الامام بهذا القول أنه لامراعاة لأحد في دين الله دون أحد بل الحق واجب فعله على جميع الخلق

١٨ — قال الامام أبو جعفر البلخي : فهذا الذي رويناه وهو تأخير القياس عن الكتاب والسنة وأقضية الصحابة هو

النقل الصحيح عن الامام أبي حنيفة

١٩ — ونقل الجلال السيوطى أن الامام أبا حنيفة كان يقدم الحديث على القياس بل كان يقدم الآثار على القياس فضلا عن الأحاديث . قال وأقضية الصحابة كلها من قسم الآثار . فكان لايقيس الا بعد ان لم يجد دليلا لتلك المسألة في كتاب ولا سنة ولا في أقضية الصحابة

٢٠ — قال الامام الشعراني : لم يزل الأئمة كلهم ومقلدوهم يقيسون في الأحكام الى وقتنا هذا من غير نكير حيث لم يجدوا دليلا في المسألة نصا ، بل جعلوا القياس أحد أدلة الشريعة كما قال الامام الشافعي : « إذا لم نجد دليلا في المسألة قسناها على الأصول »

فلا خصوصية للامام أبي حنيفة في اعتراض بعض المتعصبين عليه من جهة القياس والعمل به عند فقد النص ؛ بل الأئمة كلهم يشاركونه في ذلك . فعلم أنه لاينبغي الاعتراض على الامام أبي حنيفة في مسألة نُقل عنه القياس فيها عند فقده الحديث . ثم ان صح الدليل بعده في تلك المسألة فانه معذور . وفيما اذا وجد حديثاً ولم يصح عنده فقاس في تلك المسألة على أصل صحيح لأن القياس على الأصول أقوى عند بعضهم من خبر الآحاد الصحيح فكيف بالضعيف . وقد كان الامام أبو حنيفة يشترط في الحديث

المنقول عن رسول الله ﷺ قبل العمل به أن يّرويه عن ذلك الصحابي جمع أيضاً عن مثلهم . وهكذا اعتقادنا في الامام واعتقاد كل منصف فيه ، من ذمه الرأي والتبرؤ منه ، ومن تقديمه الحديث والأثر على القياس

٢١ — ويحتمل أن الذي أضاف الى الامام أبي حنيفة أنه يقدم القياس على النص ظفر بذلك في كلام بعض مقلديه الذين يجمدون على القياس المنقول عن امامهم ولا يخالفو نه الحديث كما عليه غالب المقلدين ، ويقولون ان الامام لم يأخذ بهذا الحديث . . فلما رأى المعترض ذلك في كلام بعض المقلدين ظن أن ذلك مذهب للامام ، فعزاه اليه لجهله بحقيقة المذهب

فان مذهب المجتهد حقيقة هو ما قاله ولم يرجع عنه الى أن مات ، لا مافهمه أصحابه من كلامه فقد لايرضى الامام بذلك الأمر الذي فهموه من كلامه ولا يقول به لو عرض عليه

٢٢ — على أن غالب قياسات الامام أبي حنيفة من القياس الجلي الذى يعرف به موافقة الفرع للأصل بحيث ينتفي احتمال افتراقهما ، وذلك كقياس غير الفأرة من الميتة اذا وقعت في السمن على الفأرة ، وكقياس غير السمن من المائعات عليه

٢٣ — قال الامام الشعراني أيضاً : ان كل من اعترض على

الامام أبي حنيفة كالفخر الرازي جاهل بمدارك الامام . وقد تتبعت المسائل التي قدم فيها المقلدون من الحنفية القياس على النص فوجدتها قليلة جداً ، وبقية المذهب كله فيه تقديم النص على القياس

ومعظم الأدلة التي أخذ بها الامام أبو حنيفة هي التي أخذ بها كل امام ، وما انفرد أحدهم عن صاحبه الا ببعض أحاديث ، وكلهم في فلك الشريعة يسبحون . فالعاقل من أقبل على أقوال الائمة كلهم وعمل بها بانشراح صدر لأنها لاتخرج عن مرتبتي الشريعة اللتين هما · التخفيف والتشديد .

٢٤ — وقال أيضا . لقد بلغنا كل أقوال الامام أبي حنيفة ، فما رأيت منها قولا الا وهو مستند الى صريح آيه أو حديث أو أثر أو مفهوم ، أو القياس جلي على أصل صحيح ؛ وما رأيته استدل بحديث ضعيف ، وانما يستدل به اذا كثرت طرقه . ولا خصوصية له بذلك بل يوافقه عليه جميع الائمة

وقد ثبت مدح الامام مالك ومدح الامام الشافعي له ، فلا عبرة باعتراض غيرهما على بعض أقواله ، ويتعين على أتباع الامام مالك وأتباع الامام الشافعي أن يعظموا الامام أبا حنيفة كل التعظيم ، لان امام المذهب اذا مدح عالما وجب على جميع

أتباعه أن يمدحوه تقليداً لامامهم ؛ وأن يعظموه ويجلوه ، ويحرم عليهم الانتقاد عليه والتنقيص له

على أن جميع المعترضين على أبي حنيفة دونه في العلم بيقين ، ولا ينبغي لمن هو مقلد أن يعترض على المجتهد المطلق ، لأن قول المجتهد كالقمر في السماء وقول المعترض عليه كالذي ينظر خيال القمر في الماء لايعرف حقيقته ولا مدارك أقواله . ولو أنصف هؤلاء المنتقدون لم ينتقدوا على امام عظيم مدحه امامهم وتأدب معه ، لأن كل مقلد قد أوجب على نفسه تقليد امامه في كل ما قاله من غير أن يطالبه بدليل وهذا من ذاك

٢٥ — قال الامام الشعراني أيضا : دخل عليّ شخص من طلبة العلم قد طعن في السن فأخرج لي بعض كراريس وقال : انظر في هذه ، فوجدت فيها جملة من المسائل المنقولة عن الامام أبي حنيفة ، ووجدته قد شرع في ردها ؛ فقلت له مثلك لايفهم كلام هذا الامام. فقال : انما أخذتها عن الفخر الرازي ؛ فقلت له : والفخر الرازي بالنسبة للامام أبي حنيفة كآحاد الرعية مع السلطان الاعظم ، ولا ينبغي لأحد من الرعية الطعن على امامه الا بحق واضح كالنصوص الشريفة ؛ وأما ماكان من باب الاجتهاد بيقين فلا . ثم قال رضى الله عنه :

كان لى صاحب عزيز عندي ، فذكر الامام أبا حنيفة يوما بسوء وقال لا أقدر أسمع له قولا . فنهيته عن ذلك فلم ينته ، ففارقني فوقع من سلّم فانكسر فقار ظهره ، وخرج ززوركه ، فمكث يتغوط ويبول على نفسه بلا طهارة ولا صلاة الى أن مات على أسوأ حال بعد خمسة أشهر

فما طعن أحد في مذهب إلا لجهله به وبدقة مداركه ، خصوصا دقة مدارك مذهب أبي حنيفة فانها دقيقة جداً لايكاد يطلع عليها الا الراسخون في العلم

فقد قال الامام الخواص رضى الله عنه : ان الامام أبا حنيفة كان من أكابر أهل الكشف وانه كان اذا رأى الماء المستعمل يعرف فيه كل ذنب غفر من نفس غسالته . فيقول هذه غسالة غيبة أو نميمة أو نحو ذلك . قال ولذلك نقل عنه في الماء المستعمل ثلاثة أقوال ففهم مقلدوه أن تلك الاقوال في حكم واحد ، والحال أنها في أحوال بالنظر لتعدد الذنوب لا بالنظر الى ذنب واحد

٢٦ — وقال أيضاً : لقد سبرت كلام الامام أبي حنيفة رضي الله عنه فوجدته متقيدا بالكتاب والسنة في أقواله وأفعاله وعقائده لايخرج عن الكتاب والسنة في شيء منهما . وقد اختاره الله تعالى لدينه ولم يزل أتباعه في زيادة الى يوم القيامة . وقد كان

سيدي ابراهيم المتبولي رضى الله عنه يقول :

مذهب الامام الاعظم أبي حنيفة رضى الله عنه هو آخر المذاهب انقراضا كما كان أول المذاهب المدونة

ولا عبرة بمن يعترض على بعض أقواله من الناس فانه جاهل بمداركه

ويكفي في مدح مذهب الامام الأعظم أبي حنيفة قول الامام مالك رضى الله عنه لما سئل عنه : وماذا أقول في مذهب امام عظيم لو ناظرني في أن نصف هذا العمود من ذهب ونصفه من فضة لقام بحجته

ويكفي في مدحه أيضاً قول الامام الشافعي رضى الله عنه « الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة »

فها قد برهنا بأدلة لاتقبل النقض على أن الامام أبا حنيفة لم يقدم القياس على النص ، وحاشاه رضى الله عنه من القول بالرأي في دين الله عز وجل بغير دليل ، ومن نسبه الى ذلك فما حقق النظر في مذهبه ولا قدره حق قدره

المسألة الثانية :

١ — زعم بعضهم أن أدلة مذهب أبي حنيفة ضعيفة . وهذا

تعصب على الامام وافتراء عليه. فهذا كتاب تخريج أحاديث الهداية للحافظ الزيلعي وكتب المذهب بين أيدينا ، وكل ما فيها من أدلة يدور بين الصحيح والحسن والضعيف الذي كثرت طرقه حتى ألحق بالحسن . وقد قال جمهور المحدثين بالاحتجاج بالحديث الضعيف اذا كثرت طرقه وألحقوه بالصحيح تارة وبالحسن تارة. وهذا النوع من الضعيف يوجد كثيراً في كتاب السنن الكبرى للبيهقي التي ألفها بقصد الاحتجاج لمذهب الامام الشافعي وأقوال أصحابه ، فانه إذا لم يجد حديثاً صحيحاً أو حسناً لقول الامام الشافعي أو لقول أحد من أتباعه يروى الحديث الضعيف من طريق كذا وكذا ويكتفي بذلك ويقول : وهذه الطرق يقوى بعضها بعضا. فبفرض وجود ضعف في بعض أدلة أقوال الامام أبي حنيفة وأقوال أصحابه ؛ فلا خصوصية له في ذلك ، والحق أحق أن يتبع

٢ ــ وقال الامام الشعراني رضي الله عنه : لقد منّ الله تعالى عليّ بمطالعة مسانيد الامام أبي حنيفة من نسخة صحيحة عليها خط الحافظ الزيلعي والحافظ الدمياطي وغيرهما فرأيته رضي الله عنه لا يروي حديثاً إلا عن خيار التابعين الثقات العدول الذين هم من خير القرون بشهادة الرسول ﷺ كالأسود وعلقمة

وعطاء وعكرمة ومجاهد والحسن البصري وأضرابهم . فكل الرواة الذين بينه وبين النبي ﷺ ثقات عدول ليس فيهم كذاب بل هم أعلام أخيار . وناهيك بعدالة من أخذ عنه الامام الأعظم وارتضاه لأحكام دينه مع شدة ورع الامام وتحرزه وشفقته على الأمة المحمدية ، على أنه ما من راو من رواة المحدثين والمجتهدين إلا وهو يقبل الجرح لو أضيف اليه كما يقبل التعديل ، وذلك لعدم العصمة . ولكن العلماء رضي الله عنهم أمناء الشريعة ، فقدموا التعديل غالباً على الجرح لئلا يذهب غالب الشريعة ، وقالوا إحسان الظن بالرواة المستورين أولى ، مع أن جمهور المحدثين قالوا : إن مجرد الكلام في شخص لا يسقط مروءته . وقد خرّج الشيخان لخلق كثير ممن تكلم الناس فيهم إيثاراً لاثبات أدلة الشريعة ليحوز الناس فضل العمل بها وكان في ذلك فضل كثير للأمة ، كما أن في ضمن تضعيفهم للأحاديث أيضاً رحمة للأمة بتخفيف الأمر بالعمل بها وان لم يقصد الحفاظ ذلك ، فانهم لو لم يضعفوا شيئاً من الأحاديث وصححوها لعجز غالب العامة عن العمل بها فليس لنا ترك حديث من تكلم الناس فيه بمجرد الكلام ، وانما لنا ترك ما انفرد به وكان مخالفاً للثقات ، ولو أننا فتحنا باب الترك لكل راو تكلم فيه بعض الناس لذهب

معظم أحاديث الشريعة

٣ ـ فجميع أدلة المجتهدين لا تخرج عن الشريعة ، واذا قال أحد من الحفاظ بضعف شيء من أدلة مذهب أبي حنيفة فذلك محمول جزماً على ضعف الرجال النازلين في السند بعد موت الامام الأعظم إذا رووا ذلك عن طريق غير طريق الامام . أما كل حديث وجدناه في مسائل الامام فهو حديث صحيح لأنه لو لم يصح ما استدل به . وكفانا صحة للحديث استدلال مجتهد به ، ثم يجب علينا العمل به ولو لم يروه غيره ، ولا يقدح في صحته وجود كذاب أو متهم بكذب في سنده النازل عن الامام .

٤ ـ ويحتمل أن يكون مراد القائل بأن أدلة مذهب الامام أبي حنيفة غالبها ضعيف انما هو أدلة مذاهب أصحابه التي ولدوها بعده وفهموها من كلامه لجهل هذا بحقيقة المذهب . فان مذهب الانسان هو ما قاله ولم يرجع عنه إلى أن مات ، لا ما فهم من كلامه . وهذا الجهل يقع فيه كثير من طلبة العلم فضلا عن غيرهم فيقولون مذهب أصحاب الامام مذهب له مع أن الامام ليس له في تلك المسألة كلام . وكل هـذا من قلة الورع في الدين وسوء التصرف . فأدلة مذهب أبي حنيفة صحيحة لا ريب فيها ، وان جميع ما استدل به لمذهبه أخذه عن خيار التابعين كمجاهد

وعكرمة والأسود وعلقمة وأضرابهم فلا يتصور في أدلته ضعف بوجه من الوجوه . وإن قيل بضعف حديث مستدل به فذلك الضعف إنما هو من حيث الراوى النازل في السند بعد موت الامام ، فلا يقدح ذلك فيما أخذ به الامام لمن استصحب النظر في الرواة وهو صاعد إلى النبي ﷺ . وكذلك أدلة أتباعه فلم يستدل أحدهم بحديث ضعيف وانما يستدل بصحيح أو حسن أو ضعيف كثرت طرقه ؛ وذلك أمر يشارك في الاستدلال به جميع الائمة لا خصوصية لاصحاب الامام في ذلك ؛ على أن الادلة التى لم يأخذ بها كل إمام يسيرة جداً وباقى الادلة اتفقوا كلهم على الاخذ بها ، فلا يكاد يظهر نقص في مذهب أحدهم بما لم يأخذ به من بعض الاحاديث

٦١ — مقارنة بين مذهب أبى حنيفة وغيره

لا نقصد بهذه المقارنة تفضيل مذهب على مذهب ، ولا التعصب لاحد المذاهب ، فهذا من أبغض الأشياء لدينا ، وكل المذاهب على حق وهدى . ولكننا نذكر هذه الأمثلة للمقارنة ليس غير

١ — في الايمان : ذهب أبو حنيفة الى أن « الايمان » هو

التصديق بالقلب والاقرار باللسان ، فمن صدق محمدا ﷺ بقلبه فيما جاء به من عنـد ربه وأقر بلسانه فهو مؤمن ؛ أما الأعمال : أى الصلاة والصيام والزكاة والحج فغير داخلة فيه

وذهب الامام الشافعى رضي الله عنه : الى أنها داخلة فيه ويلزم من ذلك : أن من ترك الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو الحج فلا يكون مؤمنا . لأن الكل ينتفي بانتفاء جزئه ، فيكون في النار خالداً فيها . ولا يخفى أنه جاء في بعض الأحاديث : « من قال لا إله الا الله دخل الجنة » فلولا مذهب أبي حنيفة لكان كل من ترك فعلا من الاعمال المذكورة آنفا كافرا تطلق امرأته ويكون بوطئها زانيـا ويبطل حجه وجهاده الخ

٢ — وفي الطهارة : قال أبو حنيفة يجوز الاغتسال والوضوء بما سخن بالروث ونحوه ، وقال الشافعي لايجوز . فلولا مذهب أبي حنيفة لم يتطهر من يتوضأ بماء سخن بالروث ، ولم يتطهر من دخل حمامات مصر . واذا لم يتطهر لاتصح صلاته ولايجوز له مس المصحف بيده ولا يدخل المسجد ولا يجوز له قراءة القرآن واذا زالت صلاته زال ايمـانه ولزم ماذكرناه فيما تقدم

٣ — وفي الصلاة . قال أبو حنيفة : من نوى بقلبه صلاة يصليها جازت وان لم يذكرها باللسان

وقال الشافعي : لا يجوز مالم يكن الذكر باللسان مقارنا للقلب . وأكثر الناس عاجزون عن ذلك باعترافهم . والمقارنة يردّها صريح العقل، لأن اللسان ترجمان مايخطر بالقلب . والمترجم عنه سابق قطعا . على أن الحروف الملفوظ بها في النية منطبقة على أجزاء الزمان وهي منقضية منصرمة لا يتصور المقارنة بين أنفسها فكيف يتصور مقارنتها لما يكون قبلها . واذا لم يصلّ انتفى جزء الايمان والكل ينتفي بانتفاء الجزء كما مرّ

٤ — في الصلاة أيضا . قال الشافعي قراءة الفاتحة في الصلاة ركن، فان تركت بطلت الصلاة، خلافا لأبي حنيفة . فلولا مذهب أبي حنيفة لكانت صلاة أكثر الناس باطلة . واذا بطلت الصلاة على الدوام انتفى جزء الايمان والكل ينتفى بانتفاء الجزء

٥ — وفي الصوم . قال أبو حنيفة : إذا كانت نية الصوم مقارنة لاكثر النهار جاز ، وقال الشافعي لايجوز مالم تكن النية من الليل . فمن أفاق من الاغماء ونوى الصوم لايجوز عنده وفي هذا من الحرج مافيه . والله تعالى يقول « ماجعل عليكم في الدين من حرج »

٦ — وفي الزكاة . قال أبو حنيفة : اذا دفع الزكاة الى واحد من الأصناف الثمانية المذكورة في القرآن الكريم جاز . وقال

الشافعي : لايجوز إلا اذا دفع الى ثلاثة أشخاص من كل واحد من الاصناف المذكورة . وقد لايوجد ذلك في بلد المزكي . فيدركه الموت والذمة مشغولة بالواجب ، وقد لايوفق للاداء بعده . فينتفى جزء الايمان . والكل ينتفى بانتفائه . واذا نوزع في ذلك فلا ينازع في لزوم الحرج المدفوع بنص الآية الكريمة المتقدمة

٧ — وفي الحج . قال الشافعي : الطهارة شرط لصحة الطواف ، ومس المرأة ينقضها ، خلافا لأبي حنيفة فيها . وعموم البلوى في الطواف ومس النساء ظاهر لاينكره كل من حج . قال شمس الدين الاصبهاني : توضأت في الطواف عشر مرات لأطوف على مذهب الشافعى سبعة أشواط فلم أقدر على ذلك ، فقلدت أبا حنيفة . فلولا مذهب أبي حنيفة لعاد كل من ذهب الى الحج بلا حج . وهذا مالا يجوزه أحد . واذا انتفى الحج انتفى جزء الايمان والكل ينتفي بانتفاء جزئه

٨ — وفي المأكول . قال أبو حنيفة يجوز أكل خبز في فرن أوقد فيه الروث ونحوه وقال الشافعى لا يجوز. ولولا مذهب أبي حنيفة لما حل خبز الديار المصرية إلا في حال المخمصة

٦٢ — أبو حنيفة من أعيان الحفاظ

زعم بعض حساد أبي حنيفة أنه قليل الاعتناء بالحديث ، وهذا ادعاء باطل . فان الامام كثير الحديث والاعتناء به ، ومعدود من أعيان الحفاظ من المحدثين . ويتضح ذلك من مسانيده التي أشار اليها الامام الشعراني في هذا المقال ، وقد قدمنا انه أخذ عن أربعة آلاف شيخ من أئمة التابعين وغيرهم . وذكره الحافظ الناقد الذهبي في طبقات الحفاظ من المحدثين . ولقد أصاب الذهبي اذ لولا كثرة اعتناء أبي حنيفة بالحديث ماتهيأ له استنباط مسائل الفقه ، فانه أول من استنبطه من الأدلة . وعدم ظهور حديثه في الخارج لايدل على عدم اعتنائه بالحديث كما زعم بعض خصومه ومن يحسده ، وانما قلّت الرواية عنه ـ وإن كان متسع الحفظ ـ لاشتغاله عن الرواية باستنباط المسائل من ادلأدلة كما كان أجلاء الصحابة كأبي بكر وعمر وغيرهما يشتغلون بالعمل عن الرواية حتى قلّت روايتهم بالنسبة الى كثرة اطّلاعهم و كثرة رواية من دونهم بالنسبة اليهم ؛ ولهذا لم يرو الامام مالك والامام الشافعي الا القليل بالنسبة الى ماسمعاه ، وذلك لاشتغالهما باستخراج المسائل من الأدلة . وقد عقد الحافظ ابن عبد البر ـ في كتاب

العلم ـ باباً كبيراً في التحذير من الرواية بدون دراية وقال : الذي عليه جماعة فقهاء المسلمين وعلمائهم ذم الا كثار من الحديث دون تفقه ولا تدبّر . وقال ابن شُبْرُمة : أقلل الرواية تفقه . وروى الطحاوي عن أبي يوسف قال : قال أبو حنيفة : لاينبغي للرجل أن يحدث من الحديث الا بما حفظه من يوم سمعه الى يوم يحدثه . وقال إسرائيل بن يوسف : نِعْم الرجل النعمان . ماكان أحفظه لكل حديث فيه فقه ، وأشد فحصه عنه وأعلمه بما فيه من الفقه . وقال أبو يوسف : مارأيت أحدا أعلم بتفسير الحديث ، ومواضع النكت فيه من الفقه من أبي حنيفة . وقال أبو يوسف أيضا ماخالفت أبا حنيفة في شيء فتدبرته إلا رأيت مذهبه الذي ذهب اليه أنجى في الآخرة ، وكنت ربما ملت الى الحديث وكان هو أبصر بالحديث الصحيح مني . وقال أبو يوسف أيضاً . كنا نكلم أبا حنيفة في باب من أبواب العلم ، فاذا قال بقول واتفق عليه أصحابه أو قل اتفقنا عليه دُرْتُ على مشايخ الكوفة هل أجد في تقوية قوله حديثا أو أثرا ، فربما أحدِّثُ الحديثين أو الثلاثة فآتيه بها ، فمنها ما يقبله ومنها ما يردّه ويقول : ليس هذا بصحيح أو ليس بمعروف ـ وهو يوافق قوله ـ فأقول له : وما علمك ؟ فيقول : أنا عالم الكوفة . . .

وروى القاضي الصيمري عن عبد الله بن عمر قال : كنا جلوسا عند الاعمش فسئل عن مسائل ، فقال لأبي حنيفة ما تقول فيها ؟ قال : كذا وكذا . فقال من أين لك هذا ؟ قال : أنت حدثتنا عن أبي صالح عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ بكذا وسرد عدة أحاديث على هذا النمط . فقال الأعمش : حسبك . ما حدثتك به في مائة يوم تحدثني به في ساعة واحدة . ما علمت أنك تعمل بهذه الأحاديث . يا معشر الفقهاء : أنتم الأطباء ونحن الصيادلة وأنت يا أبا حنيفة أخذت بكلا الطرفين

فمن كل هذا يظهر أن الامام أباحنيفة من أعيان الحفاظ من رجال الحديث وإن قلت الرواية عنه لاشتغاله عن الرواية باستنباط الأحكام من الأدلة كما قلنا آنفا

وقد نتمكن من ذكر مسانيده وأحاديثه في فرصة أخرى

٦٣ — القراآت الشاذة المنسوبة للامام

زعم بعضهم ان الامام أباحنيفة كان يختار القراءة ببعض القراءات الشاذة ؛ وهذا مختلق موضوع عليه ، ولا أصل له ، وهو منه بريء ، إذ الامام أعقل من أن يعدل عن القراءة المتواترة الى قراءة شاذة كثير منها لا وجه له في العربية الا بتكلف شديد ؛ ولأنه ورد من عدة طرق أن الامام أخذ القراءات عن الامام عاصم بن أبي النجوم أحد القراء السبعة ، وبعيد على امام من أئمة

الدين وقطب من أقطاب الشريعة أن يعدل عن المتواتر الى غيره

وقد قال شيخ قراء عصره الامام الحافظ المحقق ابن الجزري في كتابه « النشر » وأما القراءات المنسوبة للامام أبي حنيفة التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي في كامله وغيره فانها لا أصل لها

وقال أبو العلاء الواسطي : ان الخزاعي وضع كتابا في الحروف نسبه الى الامام أبي حنيفة ، ولقد أخذت من خط الدارقطني وجماعة ان الكتاب موضوع ولا أصل له

وقال الامام ابن الجوزي : وقد رأيت الكتاب المذكور ومنه « انما يخشى اللهُ من عباده العلماء » برفع الهاء . وقد راج ذلك على أكثر المفسرين ونسبها اليه وتكلف توجيهها وان الامام أبا حنيفة لبريء منها . انتهى كلام النشر

وقال مثل ذلك الحافظ الناقد الذهبي في الميزان ، وشيخ الاسلام الحافظ ابن حجر في اللسان ، والامام الحافظ جلال الدين السيوطي في الاتقان

ومما يؤيد هؤلاء الاعلام ان من ألف في الشواذ قبل الخزاعي لم يتعرضوا لذلك ، ولم يذكروا شيئاً منه وانما ذكره من جاء بعده

ولا يغتر بذكر جماعة من المفسرين لتلك القراءات الشاذة عن الامام أبي حنيفة كالامام الزمخشري وغيره فانهم ذكروا للخزاعي ولم يقفوا على حقيقة الحال

١٠

المطاعن

التى وجهت الى ابي حنيفة

الرد على هذه المطاعن ـ الجرح والتعديل ـ هل أبو حنيفة من المرجئة ـ افراط أصحاب الحديث فى ذم أبي حنيفة ـ أبو حنيفة سيد المجددين وحامل لواء التجديد

---

٦٤ ـ المطاعن والرد عليها

نسبوا الى أبي حنيفة ماليس فيه ، واختلقوا عليه ما لا يليق به ، واجتهد كثير من خصومه في أن يحطوا من مرتبته ، ويصرفوا قلوب الناس عنه وعن علمه ومذهبه ، وألفوا المؤلفات في ذمه

ليس يخلو المرء من ضد ولو
حاول العزلة في رأس جبل

ولكنهم في كل ما وجهوه إليه من المطاعن كانوا
كناطح صخرة يوما ليوهنها
فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

وأبو حنيفة ما ضعف لما أصابه من ذمهم وما استكان . ولما أجهدهم الذم ووجدوا أنه لم يؤثر فيه شيئا ، علمهم فشلهم هذا ان عظمة أبي حنيفة من عند الله ، ومن يرفعه الله لا يقدر الخلق على خفضه

فاختلاف الناس في انسان وعدم اجماعهم على مدحه لا يقلل من قيمته ، ولا يؤثر في مكانته ، وليس دليلا على نقص فيه . بل إنه يستدل على نباهة الرجل وعظمته بتباين الناس فيه . ألا ترى إلى الامام علي كرم الله وجهه ، فقد هلك فيه فئتان : محبّ أفرط ، ومبغض أفرط . وقد جاء في الحديث : ان عليا رضي الله عنه يهلك فيه رجلان : محبٌّ مطْر ، ومُبْغِض مكثر ؛ وهذه صفة أهل النباهة ، ومن بلغ في الدين والفضل الغاية

فالحسد هو السبب فيما وجه الى أبي حنيفة من مطاعن . وقد أشار الامام نفسه إلى حسد بعض أقرانه له . فقد روى الخطيب عن الامام وكيع بن الجراح قال : دخلت على أبي حنيفة فرأيته مطرقا مفكرا ، فقال لى من أين أقبلت ؟ قلت من عند شريك . فرفع رأسه وأنشأ يقول :

ان يحسدونى فاني غير لائمهم
قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم مابي وما بهم
ومات أكثرنا غيظا بما يجد

قال وكيع وأظنه كان بلغه عن شريك شيء

فالذين ذموا أبا حنيفة لا يخلو حالهم إما أن يكونوا من غير أقران الامام أو من أقرانه

فان كانوا من غير أقرانه فهم لم يروه ولم يشاهدوا أحواله بل قلدوا ما رأوه في الأوراق التى دونها أعداؤه ؛ فهؤلاء لا يلتفت الى أقوالهم البتة . وقد قال الامام الشعراني ونقلناه فيما سبق : إن جميع المعترضين على أبي حنيفة دونه في العلم ولا ينبغي لمن هو مقلد أن يعترض على المجتهد المطلق

وان كانوا من أقرانه المنافسين له فلا يلتفت الى قولهم أيضاً فقد قال الذهبي في الميزان ، وابن حجر في اللسان : « كلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبأ به ، ولا سيما اذا لاح لعداوة ، أو لمذهب ، أو لتنافس ، أو لغير ذلك »

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه
فالكل أعداء له وخصومُ

كضرائر الحسناء قلن لوجهها
حسداً وبغضاً إنه لدميم

وقال الامام ابن عبد البر : « كلام الائمة بعضهم في بعض يجب ألا يلتفت إليه ، ولا يعرّج عليه . إذ كلام النظير في النظير والعلماء بعضهم في بعض مردود »

٦٥ ـ الجرح والتعديل

من هو الذي يقبل فيه جرح الجارحين ومن هو الذي لا يقبل فيه ذلك ؟ . قال الامام الحافظ القاضي تاج الدين ابن شيخ الاسلام الحافظ القدوة تقي الدين السبكى في الطبقات الكبرى في ترجمة الحافظ « أحمد بن صالح » :

« نفبهك هنا على قاعدة في الجرح والتعديل ضرورية نافعة لا تراها في شيء من كتب الاصول ، فانك إذا سمعت ان الجرح مقدم على التعديل . . . وكنت مقتصراً على منقول الاصول حسبت أن العمل على جرحه (أي أحمد بن صالح) فاياك ثم اياك والحذر كل الحذر من هذا الحسبان ، بل الصواب عندنا :

أن من ثبتت إمامته وعدالته وكثر مادحوه ومزكّوه وقلّ جارحوه وكانت هناك قرينة دالة على سبب جرحه من تعصب مذهبي أو غيره فانا لا نلتفت الى الجرح فيه ونعمل فيه بالعدالة . والا فلو فتحنا هذا الباب وأخذنا بتقديم الجرح على اطلاقه لما سلم

لنا أحد من الائمة إذ ما من امام إلا وقد طعن فيه طاعنون وهلك فيــه هالــكون » . انتهى كلام الطبقات

وقال الامام ابن عبد البر : والصحيح في هذا الباب « ان من ثبتت عدالته وصحت في العلم أمانته لم يلتفت فيــه الى قول أحد إلا أن يأتي في جرحه ببينة عادلة يصح بها جرحه على طريق الشهادات »

فالجارح لايقبل منه الجرح ـ وان فسّره ـ في حق من غلبت طاعته على معاصيه ، ومادحوه على ذاميه ، ومزكّوه على جارحيه اذا كانت هناك قرينة يشهد العقل بأن مثلها حامل على الوقيعة في الذم : من تعصب مذهبي أو منافسة دنيوية مثلا أو غير ذلك كما يكون بين النظراء وكما نراه في حياتنا اليومية كل يوم . فلا يلتفت مثلا الى كلام ابن أبي ذؤيب في الامام مالك ولا الى كلام ابن معين في الامام الشافعي . ولا الى كلام النسائي في أحمد بن صالح ولا الى كلام سفيان الثوري وغيره في الامام أبي حنيفة

ان هؤلاء أئمة مشهورون صار الجارح لهم كالآتي بخبر غريب ، حتى لو صح وتوافرت الدواعي على نقله لـكان الدليل القاطع قائمـاً على كذبه فيما قاله

ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال المعتقدات والمذاهب والآراء واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح . فربما خالفه

الجارح المجروح في رأيه أو مذهبه أو معتقده فجرحه لذلك . والى هذا أشار الامام الرافعي بقوله :

« وينبغي أن يكون المذكورون برآء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفا من أن يحملهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق . وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرحوا بناء على معتقدهم وهم مخطئون ، والمجروح مصيب »

وقال شيخ الاسلام ابن حجر في مقدمة لسان الميزان مانصه :

« وممن ينبغي أن يتوقف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين المجروح عداوة سببها الاختلاف في الاعتقادات ويلحق بذلك مايكون سببه المنافسة في المراتب فكثيراً مايقع بين الناس الاختلاف بسبب هذا أو غيره »

فظهر من هذا أن الشانئين لأبي حنيفة اما من أقرانه المنافسين له ولا قيمة لذم أو لكلام منافس . واما من المقلدين وهؤلاء أقل من أبي حنيفة ولا يحق لهم أن يتكلموا في مجتهد مطلق

٦٦ ـ هل أبو حنيفة من المرجئة ؟

افتروا على أبي حنيفة بأنه من المرجئة فقد قرأنا في شرح المواقف : « ان غسان المرجئ كان يعد أبا حنيفة من المرجئة » وهذا افتراء على الامام قصد به غسان ترويج مذهبه بموافقة امام من أكبر أئمة المسلمين إن لم يكن أكبرهم . قال الآمدي : ومع

هذا فأصحاب المقالات قد عدّوا أبا حنيفة من مرجئة أهل السنة . ولعل ذلك أن المعتزله في الصدر الاول يلقبون من خالفهم في القدر مرجئاً ، أو لأنه لما قال : الايمان هو التصديق ولا يزيد ولا ينقص ظنّ به الارجاء بتأخير العمل عن الايمان . وليس الامام كذلك إذ عرف منه المبالغة في العمل والاجتهاد فيه . انتهى كلام شرح المواقف »

٦٧ ـ إفراط أصحاب الحديث فى ذم أبى حنيفة

أفرط أصحاب الحديث في ذم أبي حنيفة ، وتجاوزوا الحد في هذا ، والسبب الموجب لذلك عندهم :

(أولا) إدخاله الرأي والقياس على الآثار واعتبارها . وأكثر أهل العلم يقولون : « إذا صح الأثر بطل القياس والنظر »

(ثانياً) إفراطه في تنزيل النوازل هو وأصحابه والجواب فيها برأيهم واستحسانهم فأتى منهم في ذلك خلاف كثير للسلف وقد رددنا على ذلك كله فيما سبق.

روى القاضي أبو القاسم بن العوام عن نصر بن يحيى البلخي قال : قلت لأحمد بن حنبل : ما الذي نقمتم على هذا الرجل ؟ ـ يعني أباحنيفة ـ قال : الرأي . قلت فهذا مالك ألم يتكلم بالرأي ؟ قال بلى ولكن رأي أبي حنيفة خلّد في الكتب . قلت : فقد خلّد رأي مالك في الكتب . قال : أبو حنيفة أكثر رأياً منه . قلت :

فهلا تكلمتم في هذا بحصته وهـذا بحصته . فسكت . . .

وعن الليث بن سعـد قال : أحصيت على مالك بن أنس سبعين مسألة كلها مخالفة لسنة رسول الله ﷺ مما قال فيها برأيه

وليس لأصحاب الحديث حق في هذه الاعتراضات فأبو حنيفة لم يفعل مما قالوا شيئا وهو من أغير الأئمة على دين الله وتركه الأخذ ببعض الاحاديث لأنه لم يطلع عليها أو لم تصح عنده . لذلك اعتبر القياس دونهـا

٦٨ ـ أبو حنيفة سـيد المجددين

على أنا لو سلمنا أن أبا حنيفة كان يجعل للرأي والقياس اعتباراً ويحلها المكان الارفع فهذا شأن المجددين الذين لايعرفون الجمود ويعتقدون أن الشريعة الاسلامية صالحة لكل زمان ومكان وما من حادثة تحصل الا ويمكن تطبيقها على قواعدها ومبادئها العامة وإيجاد حكم لها فيها مهما كانت هذه الحادثة ، ولا تخدم شريعة الله بأفضل من هذا

ولم يتفرد أبو حنيفة باعتبار الرأي والقياس وإنزالها المكان الأسمى ، فقد جاء عن الصحابة رضي الله عنهم من اجتهاد الرأي والقياس على الأصول عند عدم النص مايطول ذكره

وقال الامام ابن عبد البر في باب اجتهاد الرأي والقياس على الأصول عند عدم الادلة بعد أن ذكر الادلة على جواز ذلك :

وممن حُفظ عنه أنه قال بالرأي وقايس على الاصول مما لم يجد فيه نصاً من التابعين :

أولا — من أهل المدينة ـ سعيد بن المسيب . وأبو سلمة ابن عبد الرحمن . وخارجة بن زيد . وأبو بكر بن عبد الرحمن . وعروة بن الزبير . وابان بن عثمان بن عفان . وابن شهاب . وأبو الزناد . وربيعة بن عبد الرحمن . ومالك بن أنس وأصحابه وعبد العزيز بن أبي سلمة . وابن أبي ذئب . وابن دينار . والمغيرة المخزومي . وابن أبي حازم . وعثمان بن أبي كنانة . ومحمد ابن صدقة . ومطرف . وابن الماجشون . وأسامة بن زيد

ثانيا — من مكة واليمن ـ عطاء . ومجاهد وطاوس . وعكرمة وعمرو بن دينار . وابن جريج . ويحيى بن أبي كثير . ومعمر بن راشد . وسعيد بن سالم . وابن عيينة . ومسلم بن خالد . والامام الشافعي

ثالثا — ومن أهل الكوفة ـ علقمة . والاسود وعبيدة . وشريح القاضي . ومسروق والشعبي وابراهيم النخعي . وسعيد بن جبير . والحارث العكلي . والحكم بن عتيبه . وحماد بن سليمان . وأبو حنيفة وأصحابه . والثوري . والحسن بن صالح . وابن المبارك . وسائر فقهاء الكوفة

رابعا — ومن أهل البصرة ـ الحسن . وابن سيرين (وقد

جاء عنهما ذم القياس) ومعناه : ذم القياس على غير أصل لئلا يتناقض ما جاء عنهما ـ وجابر بن زيد . وعثمان البتي . وعبيد الله ابن الحسن . وسوار القاضي

خامسا — ومن أهل الشام ـ مكحول . والأوزاعي . وسليمان بن موسى . وسعيد بن عبد العزيز . ويزيد بن جابر

سادسا — ومن أهل مصر ـ الليث بن سعد . وعبد الله بن وهب . ويزيد بن أبي . وعمرو بن الحارث . وابن عبد الحكم . والمزني . والبويطي . وحرملة . وأشهب . وجميع أصحاب الشافعي . وأصحاب مالك كابن القاسم .

سابعا — ومن أهل بغداد وغيرهم من الفقهاء ـ أبو ثور ، واسحق بن راهويه ، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وابن جرير الطبري

فعلم مما تقدم أن الامام أبا حنيفة لم يتفرد بالقول بالقياس على الاصول ـ ان صح انه تفرد ـ بل على ذلك فقهاء الامصار كما نقله ابن عبد البر . فسقط قول من عاب الامام أبا حنيفة بذلك جوداً منه . وما كان أبو حنيفة جامدا ولكنه كان سيد المجددين وخير من يعمل للشريعة الاسلامية لجعلها صالحة لكل زمان ومكان سادّة لحاجات البشر وجميع حوادث الحياة المتجدّدة كل يوم

١١

هل خالف الامام أحاديث الرسول ؟

تحقيق هذه الدعوى ـ هل يجوز ترك العمل بخبر الواحد ـ تحقيق هذه المسألة ـ الكتب الموضوعة ضد الامام ـ عدم جواز الطعن في الأئمة ـ اختلاف العلماء

٦٩ ـ هل خالف الامام الحديث ؟

هذا باب واسع يستدعي سرد جميع أبواب الفقه ، ونحن هنا نشير الى قواعد اجمالية تنفع عند استحضار الادلة التفصيلية

١ ـ زعم الامام الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي أن الامام أبا حنيفة خالف أحاديث للرسول ﷺ كما زعم هذا سفيان الثوري وغيره ، وسبب زعمهم هذا أنهم لم يتأملوا قواعد الامام وأصوله ، اذ منها كما قال الامام الحافظ ابن عبد البر في

كتاب الكنى : ان من مذهب الامام أبي حنيفة في أخبار الآحاد أنه لا يقبل منها ما خالف الأصول المجمع عليها ، فأنكر عليه أصحاب الحديث ذلك وأفرطوا في ذمه

وقال ابن عبد البر أيضاً في كتاب « العلم » ليس أحد من علماء الأمة يثبت حديثا عن النبي ﷺ ثم يرده دون ادعاء نسخ ذلك بأثر مثله ، أو باجماع ، أو بعمل يجب الانقياد اليه ، أو طعن في سنده . . ولو فعل ذلك أحد سقطت عدالته فضلا عن أن يتخذ إماما ولزمه إثم الفسق ، ولقد عافاهم الله من ذلك . اه

٢ ـ فان صح أنّ الامام الأعظم ترك العمل ببعض أحاديث الآحاد وقدم القياس عليها فهو أعلم بالسنة وبروح التشريع من غيره وما فعل هذا إلا لموجب لا عبثا ، ولا رداً للحديث مع سلامته من القوادح حاشا لله ماعلمنا عليه من سوء والكل يعرف غيرته على السنة الشريفة وإخلاصه لها وتفانيه في خدمتها والمحافظة عليها . وعلى كل حال فما كان هذا الترك على فرض حصوله إلا لأمور خفيت على ناقديه :

الاول ـ عدم اطلاع الامام على الاحاديث التي ترك العمل بها

الثاني ـ أن يكون خبر الواحد مخالفاً لعموم الكتاب أو ظاهره ، وأبو حنيفة لا يرى تخصيص عموم القرآن أو نسخه بخبر الواحد ، لأن عمومات الكتاب وظواهرها لما أفادت اليقين لا

يجوز تخصيصها ومعارضتها به ، لأن فيه ترك العمل بالأقوى من الدليل بما هو أضعف منه ؛ وهذا لا يجوز . مثال ذلك : قوله ﷺ : « الحرَم لا يعيذ عاصيا ولا فارّا بدم » هـذا الحديث يخالف قول الله تعالى : « ومن دخله كان آمنا » .

وقوله ﷺ « لا صلاة الا بفاتحة الكتاب » هذا الحديث يخالف عموم قول الله تعالى : « فاقرأوا ما تيسر منه »

وحديث التسمية في الوضوء يخالف ظاهر قوله تعالى « فاغسلوا » الآية . ولا يجوز ترك العمل بالكتاب الكريم لهذه الأحاديث

الثالث — ألا يكون مخالفاً للسنة المشهورة لأن الخبر المشهور فوق خبر الواحد ومقدم عليه حتى جازت الزيادة به على الكتاب ، ولم تجز بخبر الواحد . فلا يجوز ترك الأقوى بالأضعف . مثال ذلك :

الحكم بالشاهد واليمين ، فانه ورد مخالفاً للحديث المشهور ، وهو ما روي عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال « البينة على المدعي ، واليمين على من أنكر » وبيان المخالفة من وجهين :

(أحدها) أن الشرع جعل جميع الايمان في جانب المنكر دون المدعي ، لأن اللام تقتضي استغراق الجنس ، فمن جعل

يمين المدعي حجة فقد خالف النص المشهور ولم يعمل بمقتضاه ، وهو الاستغراق

(ثانيها) ان الشرع جعل الخصوم قسمين : قسما مدعياً ، وقسما منكرا

وجعل الحجة قسمين : قسما بينة وقسما يميناً . وحصر جنس اليمين على من أنكر . وجنس البينة على المدعي . وهذا يقتضي قطع الشركة ، وعدم الجمع بين اليمين والبينة في جانب ، والعمل بخبر الشاهد واليمين يوجب ترك العمل بموجب هذا الخبر المشهور فيكون مردوداً . هذا ما قرره الامام عبد العزيز في كتاب « التحقيق »

وعبر غيره عن هذا الحكم بأن يكون في حديث الآحاد زيادة على القرآن الكريم ؛ فان القرآن نص على « شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » فالشاهد واليمين زيادة على الكتاب الكريم

الرابع — كون راوي الحديث غير فقيه . وهذا مذهب عيسى ابن ابان ، وتابعه كثير من المتأخرين ، وردّوا بذلك حديث أبي هريرة رضى الله عنه في المصراة

قال أبو الحسن الكرخي ومن تابعه : ليس فقه الراوي شرطا لتقديم الخبر على القياس بل يقبل خبر كل عدل ضابط

اذا لم يكن مخالفاً للكتاب أو السنة المشهورة ، ويقدم على القياس . قال صدر الاسلام أبو اليسر : واليه مال أكثر العلماء وبسط الكلام على تقوية ذلك . قال الامام عبد العزيز في كتابه التحقيق : وقد عمل أصحابنا بحديث أبي هريرة اذا أكل الصائم أو شرب ناسياً وإن كان مخالفاً للقياس . حتى قال أبو حنيفة : لولا الرواية لقلت بالقياس . وقد ثبت عن أبي حنيفة أنه قال : ماجاءنا عن الله عز وجل ، وعن رسول الله ﷺ فعلى العين والرأس . ولم ينقل عن أحد من السلف اشتراط فقه الراوي ، فثبت أن القول باشتراطه قول محدث . قال الامام عبد العزيز في التحقيق : كان أبو هريرة فقيهاً ، ولم يعدم شيئاً من أسباب الاجتهاد ، وقد كان يفتي في زمن النبي ﷺ الصحابة ، وما كان يفتي في ذلك الزمان الا فقيه مجتهد . قال محي الدين القرشي في آخر كتابه « طبقات الحنفية » : أبو هريرة رضى الله عنه من فقهاء الصحابة . وذكره ابن حزم في الفقهاء من الصحابة . وقد جمع شيخ الاسلام تقي الدين السبكي جزءاً في فتاوي أبي هريرة . وأجابوا عن حديث المصرّاة بأشياء أخر ذكر بعضها محي الدين القرشي في آخر طبقاته

الخامس — عمل الراوي بعد ما رَوَى حديثا بخلاف ما رواه لأن الراوي اذا عمل بخلاف ما روى ، فالعبرة عندهم بما رأى

لا بما روى . لأن الراوى العدل المؤتمن اذا روى حديثا عن رسول الله ﷺ وعمل بخلافه دلّ ذلك على شيء ثبت عنده : إما نسخ وإما معارضة وإما تخصيص أو غير ذلك من الأسباب : مثال ذلك ـ ما روى الشيخان عن أبي هريرة مرفوعا حديث غسل الاناء من ولوغ الكلب سبعا احداهن بالتراب . وأبو هريرة من مذهبه غسل الاناء من ولوغ الكلب ثلاثا . قال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد : هو صحيح عن أبي هريرة من قوله . وروى الشيخان حديث ابن عباس مرفوعا : من بدّل دينه فاقتلوه . وصح من قوله : ان المرأة لا تقتل

السادس ـ كونه خبراً واحداً مما تعم به البلوى : أي كل أحد يحتاج إلى معرفته لأن العادة تقتضي استفاضة نقل ما تعم به البلوى . لأن فيما تعم به البلوى لا يقتصر النبي ﷺ على مخاطبة الآحاد بل يلقيه الى عدد يحصل به التواتر والشهرة مبالغة في إشاعته لحاجة الخلق اليه . فانفراد واحد به قدح فيه . ومثاله حديث الجهر في الصلاة بالبسملة وهو مارواه أبو هريرة أن النبي ﷺ كان يجهر بالبسملة فانه لما شذّ مع اشتهار الحادثة لم يعمل به . وحديث مس الذكر الذى روته بسرة فانه شاذّ لانفرادها بروايته مع عموم الحاجة الى معرفته . فدل ذلك على ضعفه إذ القول بان النبي ﷺ خصّها بتعليم ذلك الحكم ولم يعلم سائر الصحابة مع شدة

الحاجة اليه شبه المحال . « نقله في التحقيق عن شمس الأئمة »

السابع ـ كونه ورد في الحدود والكفارات لأنها تسقط بالشبهة ويحتمل أن راويه كذب أوسها أو أخطأ ، فكان ذلك شبهة في درء الحد . هذا مذهب الامام الكرخى

الثامن ـ كونه خالف القياس الجلى ، أو الذى عضده حديث آخر

التاسع ـ معارضته حديثا آخر ثابتا عنده يؤيده القياس

العاشر ـ طعن بعض السلف فيه . مثال ذلك حديث القسامة طعن فيه عمرو بن شعيب بن عبد الله بن عمرو بن العاص

الحادى عشر ـ ألا يكون متروك المحاجة به عند ظهور الاختلاف بين الصحابة ، فانهم اذا تركوا المحاجة به مع وقوع الاختلاف فيما بينهم يكون مردوداً عند بعض الحنفية المتقدمين وعامة المتأخرين .لأن الصحابة وهم الأصول في نقل الدين لم يهتموا بترك الاحتجاج بما هو حجة و الاشتغال بما ليس بحجة مع أن عنايتهم بالحجج أقوى من عناية غيرهم . فترك المحاجة والعمل به عند ظهور الاختلاف فيما بينهم دليل ظاهر على سهو ممن رواه بعدهم أو على انه منسوخ . مثال ذلك : ماروى عن زيد بن ثابت رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: « الطلاق بالرجال » فان الصحابة اختلفوا في هذه المسألة : فذهب عثمان وزيد وعائشة

الى أن الطلاق معتبر بحال الرجل في الرق والحرية كما هو مذهب الشافعي . وذهب علي وابن مسعود الى أنه معتبر بحال المرأة كما هو مذهب الحنفية . وعن ابن عمر أنه يعتبر بمن رق منهما حتى لا يملك الزوج عليها ثلاث تطليقات إلا اذا كانا حرين ، وانهم تكلموا في هذه المسألة بالرأى ، وأعرضوا عن الاحتجاج بهذا الحديث ، مع أن راويه وهو زيد فيهم ، فدل ذلك على أنه غير ثابت أو مفسوخ . ولئن ثبت فهو مؤول بأن ايقاع الطلاق الى الرجال

* * *

فبمقتضي هذه القواعد ترك الامام أبوحنيفة العمل بأحاديث من الآحاد وأبى الله تعالى إلا عصمته مما قاله فيه أعداؤه ، وتنزيهه مما نسبوه اليه

والحق أن الامام الاعظم لم يخالف الأحاديث عناداً بل خالفها اجتهاداً لحجج واضحة ، ودلائل صالحة ، وله على تقدير الخطأ أجر ، وعلى تقدير الاصابة أجران

والطاعنون عليه إما حُسَّاد ، أو أعداء ، أو جُهال بقواعد مذهب الامام ، وبمواقع الاجتهاد . لأن الامام لم يترك خبراً الا لدليل أقوى منه و أوضح ، قال ابن حزم : جميع الحنفية مجمعون على ان مذهب أبي حنيفة أن ضعيف الحديث عنده أولى من الرأى والقياس . فتأمل هذا الاعتناء بالحديث وعظم جلاله

وموقعه عند الامام

ومما يدل على اعتنائه بالأحاديث أيضا أنه قدم العمل بالاحاديث المرسلة على العمل بالرأى :

فأوجب الوضوء من القهقهة ، والقهقهة ليست بحدث في القياس . وانما ترك القياس للخبر المرسل فيها . ولم يوجبه في صلاة الجنازة وسجود التلاوة لأن النص لم يرد إلا في الصلاة ذات الركوع والسجود ، فاقتصر على مورد النص

ومن هذا الباب اذا أكل الصائم أو شرب أو جامع ناسيا لم يفطر . والقياس الفطر لوجود مايضاد الصوم ، وهو قول مالك

وترك أبو حنيفة هذا القياس لحديث : تم على صومك. وقدم قول الصحابى لاحتمال سماعه ذلك من رسول الله ﷺ . ولا يجوز اعتقاد أنه يقدم الرأى والقياس على الاحاديث الصحيحة بلا حجة واضحة . قال المحققون : « ولا يستقيم الحديث الا باستعمال الرأى فيه بأن يدرك معانيه الشرعية التى هى مناط الاحكام ، ولا يستقيم العمل بالرأى الا بانضمام الحديث اليه .

مثال الأول ـ ان بعض المحدثين سئل عن صبيين ارتضعا على لبن شاة هل تثبت بينهما حرمة الرضاع . ؟ فأجاب بأنها تثبت عملا بقول النبي ﷺ « كل صبيين ارتضعا على ثدى حرم أحدهما على الآخر » فأخطأ لفوات الرأى وهو انه لم يتأمل

أن الحكم متعلق بالجزئية والبعضية ، وذلك انما يثبت بين الآدميين لا بين الشاة والآدمي . ومثال الثاني ان الرأى لاتنقض الطهارة بالقهقهة في الصلاة لأنها ليست بخارج نجس ، كما أنها ليست بحدث خارج الصلاة . ولكن ثبت بحديث الاعرابي أنها حدث . فوجب ترك الرأى فيه . فثبت أن الحديث لايستقيم الا باستعمال الرأى فيه . وأن العمل بالرأى لايستقيم الا بانضمام الحديث اليه ، وان كل واحد منهما لايستقيم بدون الآخر

هذا هو الرّد على مازعمه الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة . وقد رد على أحاديث ابن أبي شيبة الامام محيي الدين بن القرشي صاحب الطبقات في كتاب سماه : « الدرر المنيفة في الرد على ابن أبي شيبة عن الامام أبي حنيفة »

***

فها قد انهارت دعواهم ان أبا حنيفة خالف أحاديث الرسول ﷺ وثبت أنهم لم يفهموا قواعده وأصوله وأنه لم يردّ حديثاً الا بحجة بالغة كادعاء نسخ بأثر مثله ، أو طعن في سنده ، أو نحو ذلك

وأنه ما كان حاطب ليل يقبل كل خبر صحّ أو لم يصح ، ولكنه كان كبير العقل ، شديد الاحتياط في الدين ، إماماً نقاداً لا يقبل خبراً الا بعد عرضه على محك النقد ، ووزنه بميزانه ، فاذا

ثبت له بعد ذلك صحته فعلى العين والرأس . ولعمر الحق ان هذا هو الامام الذى يوثق بعقله وعلمه ودينه ويجب اتباعه

وأنه قد بلغ حد الاعجاز في فهم القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، وحكمة التشريع وأسراره ، وهيهات أن يلحقه في ذلك لاحق . وها هي السهام التي صوّبها خصومه اليه تتساقط على أصحابها ولم يصل اليه منها شيء « ومخطىء مَن رميُه القمرُ »

وها قد برهن الزمان على أنه أصح فهما ، وأدقّ استنباطا وأعرف بالتشريع وحاجات الناس والزمان ؛ وانه :

إمامٌ رستْ للعلم في كُنْهِ صدره
جبالٌ جِبال الارض في جنبها قفُّ

***

٧٠ ـ الكتب الموضوعة ضد الامام

فغير جميل أن تنظر بعد ذلك فيما وضعه بعض الرّعاع في مساوىء أئمة الاسلام فيحصل عندك ما يخل بتعظيمهم ، فتزل قدمك بعد ثبوتها ، أو تغتر بما نقله الحافظ الخطيب البغدادي في « تاريخ بغداد » مما يخلّ بتعظيم الامام أبى حنيفة ؛ فان الخطيب وان نقل كلام المادحين ؛ فقد أعقبه بكلام القادحين ،

فشان بذلك كتابه أعظم شين ، وصار بذلك هدفاً للكبار والصغار ، وأتى بقاذورة لا تغسلها البحار

أو تغتر بما وقع في « المنتظم » للحافظ أبي الفرج بن الجوزي فانه متعصب على الحنفية والشافعية ؛ ولا يقبل كلام متعصب اتبع هواه ...

وغير جدير بالاحترام من يغترّ بما وقع في كتاب « المنخول » المنسوب للامام الغزالى . فان ذلك من قائله زلة عن الصواب تأباها النفوس وتمجها الاسماع ، وانما قلنا المنسوب للامام الغزالى لأن هذا الكتاب لم يُرْوَ بالاسناد المتصل اليه ، فيحتمل أن تلك الألفاظ الشنيعة اختلقت عليه [١]

وعلى تقدير صدورها من الامام الغزالى ، فقد نقل عن أعيان المحققين في عصره الشيخ الامام علاء الدين البخاري الحنفي أحد أصحاب الشيخ سعد الدين التفتازاني انه كان يعظم الامام الغزالى غاية التعظيم ، ولا يسمح لأحد أن يقول بحضرته : قال الغزالى بل قال الامام الغزالى ، مما يدل على تعظيمه . فقيل له : ألم تر ما صدر منه في حق الامام أبي حنيفة ؟ فقال : صدر منه ذلك زمن الشباب حين سلطان الهوى والعصبية غالب عليه قبل أن

---

(١) رد على هذا الكتاب الامام الكردلى . وقيل ان المنخول هذا لرجل اسمه محمود الغزالي لاحجة الاسلام

يتأدب ويتخلق بأخلاق الصوفية ويترك الرعونات وحظوظ النفس ؛ فلما تخلق بأخلاق القوم انسلخ من هذه الاخلاق وتخلق بالصفات العلية ، ورجع عن هذه الألفاظ الرديئة ، وطمس ما في نسخته ، وعرف الحق لأهله ، وتعذر عليه طمس ما في بقية النسخ لانتشارها .

ولما صنف كتاب الأحياء بعد ذلك عظّم الامام أبا حنيفة غاية التعظيم وذكر في مواضع كثيرة جملا من فضائله . ولو عرض عليه كلام المنخول بعد رجوعه عن الأخلاق المذمومة لتبرأ منه واستغفر الله تعالى والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ـ انتهى

ويحقق ذلك قول الامام الغزالي في آخر الباب الثالث ما نصه :

وأما الخلافيات التي أحدثت فيهذه العصور المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات بما لم يعهد مثله في السلف ؛ فاياك أن تحوم حولها فاجتنبها اجتناب السم القاتل فانه الداء العُضَال ، وهو الذي ردّ الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها . وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال : الناس أعداء ما جهلوا ولا تظنّ ذلك فعلى الخبير سقطتَ . فاقبل هذه النصيحة ممن ضيّع عمره فيه زماناً وزاد فيه على الأولين تصنيفاً وتحقيقاً وجدلا وبياناً

٧١ـ عدم جواز الطعن في الائمة

من أثناء القرن الثاني الهجري الى الآن والأمة المحمدية لا يخرج أحد منها اذا كان غير مجتهد عن أن يكون مقلداً لأحد من الائمة المجتهدين في الفقه . والائمة كلهم على هدى من الله تعالى وقد أفضى ببعض مقلديهم الهوى والحمية الجاهلية الى ترجيح مذهب إمامه ، واطلاق لسانه في غيره بعدم أدب وخوف من الله تعالى ؛ فانتصر بعض من خالفه ورد عليه وأطلق لسانه فيه وتعدى الى إمامه ؛ وزعم أن ذلك من باب المقابلة . ولو عرض كلام كل منهما على إمامه الذي يقلده لزجره وهجره وتبرأ منه ، وأي اختلاف وتفرق أشد من هذا . وقد قال الله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ثم قال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » وقال سبحانه وتعالى « أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه » والآيات في النهي عن التفرق والاختلاف كثيرة

وقال رسول الله ﷺ « إن هذا القرآن سبب طرفه بيد الله تعالى وطرفه بأيديكم فتمسكوا به فانكم لن تضلوا بعده أبداً »

وقال ﷺ « افترقت بنو اسرائيل على احدى وسبعين

فرقة ، وان أمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلهم في النار الا واحدة قالوا يارسول الله ومن هذه الواحدة ؟ قال : الجماعة . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا »

وقال ﷺ « ان الله عز وجل يرضى لكم ثلاثا ويسخط لكم ثلاثا : يرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم . ويسخط لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، واضاعة المال » . والاحاديث في هذا كثيرة

فمن طعن في أحد الائمة فقد خالف الآداب الاسلامية باغتيابه المطعون فيه . وقد نهى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عن الغيبة . قال تعالى : « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » . فلحوم العلماء سمّ ، من شمها مرض ، ومن ذاقها مات كما قال الامام الحافظ ابن عساكر في كتابه « تبيين كذب المفتري فيما نسب الى الامام الأشعري »

وقال رسول الله ﷺ « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره ـ وفي لفظ : بما فيه ـ قيل يارسول الله ان كان في أخي ما أقول قال : « ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وان لم يكن فيه ماتقول فقد بهتّه » وقال رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع : « ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم كحرمة

يومكم هذا في شهركم هذا ألاَ قد بلَّغت » وقال : « كلُّ المسلم حرامٌ : دَمه وعِرْضه وماله » .

ولقد نُهينا عن التعرض لجناب أحَد من الأولياء بما يخل من تعظيمهم - والائمة في مقدمة الأولياء - فمن انتقص أحداً منهم فقد أدخل نفسه فيما لا طاقة له به . قال رسول الله ﷺ « مَن عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب » وفي رواية أخرى : « فقد استحل محاربتي » وفي أخرى : « فقد بارزني بالحرب »

رب قائل يقول ان كلام من تكلم في الامام أبي حنيفة ليس بغيبة عند قائله بل هو متعين ليبين حاله

ونحن نقول : ان هذا غيبة لاشك في ذلك . لان مثل الامام أبي حنيفة الذي شهد الائمة ممن عاصره ورآه بورعه وزهده وعلمه وصدقه وتحريه وحسن عبادته وولايته كيف لايكون كلام من لم يره غيبة فاحشة ، وكلام من تكلم فيه ممن عاصره مردود غالبه حسد . ونسب اليه جماعة أشياء فاحشة لاتصدر عمن يوصف بأدنى دين وهو منها بريء .ولقدقصدوا بها شينه وعدم انتشار ذكره ، ويأبى الله الا أن يتم نوره

٧٢ - اختلاف العلماء

١ - كل امام مجتهد في فروع الشريعة على هدي من الله وهو مأجور غير مأزور فلا يستوجب اختلاف العلماء ذماً ولا

قدحا ، بل يستدعي مدحاً وثناءً

أخرج الامام الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه : « جزيل المواهب في اختلاف المذاهب » ان رسول الله ﷺ قال : « مهما أوتيتم من كتاب الله تعالى فالعمل به لا عذر لأحد في تركه ، فان لم يكن فى كتاب الله تعالى فسنة ماضية ، فان لم تكن سنة مني فما قال أصحابي ، ان أصحابي بمنزلة النجوم في السماء ، فأيما أخذتم به اهتديتم ، واختلاف أصحابي رحمة »

ففي هذا الحديث فوائد : إخباره ﷺ باختلاف المذاهب بعده في الفروع ، وذلك من معجزاته ﷺ من إخباره بالمغيّب ورضاه بذلك وتقريره إياه ، ومدحه له اذ جعله رحمة والتخيير للمكلف في الاخذ بأيهما شاء من غير تعيين لأحد

ويستنبط منه أن كل المجتهدين على هدى وكلهم على حق ، فلا لوم على أحد منهم ، ولا ينسب الى أحد منهم تخطئة ، لقوله : فأيما أخذتم به اهتديتم فلو كان المصيب واحدا والباقي خطأ لم تحصل الهداية في الاخذ بالخطأ . وأخرج ابن سعد في الطبقات والبيهقي في المدخل ان عمر بن عبد العزيز قال : ماسرني لو أن أصحاب محمد لم يختلفوا لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصه » . وروى الخطيب في كتاب « الرواة » عن مالك ان هرون الرشيد قال لمالك بن أنس : « يا أبا عبد الله ، نكتب هذه

الكتب و نفرقها في آفاق الاسلام لنحمل عليها الأمة . قال : يا أمير المؤمنين ان اختلاف العلماء رحمة من الله تعالى على هذه الأمة ، كل يتبع ما صح عنده ، وكل على هدى ، وكل يريد الله تعالى . وروى أبو نعيم في الحلية عن عبد الله بن عبد الحكم قال : سمعت مالك بن أنس يقول : شاورني هرون الرشيد في أن يعلق الموطأ في الكعبة ويحمل الناس على ما فيه . فقلت : لا تفعل فان أصحاب رسول الله ﷺ اختلفوا في الفروع ، وتفرقوا في البلدان ، وكل مصيب . فقال: وفقك الله يا أبا عبد الله

وروى ابن سعد في الطبقات عن محمد بن عمر الاسلمي قال : سمعت مالك بن أنس يقول : لما حج المنصور قال لي : إني قد عزمت على أن آمر بكتبك هذه التي قد وضعتها فتنسخ ، ثم أبعث الى كل مصر من أمصار المسلمين منها بنسخة وآمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه الى غيره . فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا ، فان الناس قد سبقت اليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات وأخذ كل قوم بما سبق اليهم ودانوا به من اختلاف الناس . فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لانفسهم .

٢ ــ فاختلاف العلماء في هذه الملة نعمة كبيرة وفضيلة عظيمة وله سر عظيم أدركه العالمون وعمي عنه الجاهلون ، حتى انك تسمع بعض الجهال يقول : النبي ﷺ جاء بشرع واحد فمن أين

هذه المذاهب ؟ ومن العجب أن بعضهم يأخذ في تفضيل بعض المذاهب تفضيلا يؤدى الى تنقيص المفضل عليه وسقوطه وربما أدى الى الخصام بين السفهاء وصغار العقول ، والعلماء منزهون عن ذلك

وقد وقع الاختلاف في الفروع بين الصحابة وهم خير الأمة ، فما خاصم أحد منهم أحدا ولا عادى أحد أحدا ولا نسب أحد الى أحد خطأ أو قصوراً

فاختلاف المذاهب توسع في الشريعة الاسلامية انفردت به عن الشرائع التى جاءت قبلها . فكان كل مذهب شريعة . وكأن المذاهب على اختلافها شرائع متعددة فصارت هذه الشريعة كأنها عدة شرائع بعث بها النبي ﷺ وفي ذلك توسعة زائدة لها وفخامة عظيمة لقدر النبي ﷺ وخصوصية له على سائر الانبياء اذ لم يبعث كل منهم الا بحكم واحد في الأمر الواحد ، وبعث النبي ﷺ في الأمر الواحد بأحكام منوعة حتى لا يضيق الأمر على أهلها بالتزام شيء واحد وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح وحتى يحكم بكل حكم منها ، وينفذ ويصوب قائله ويؤجر عليه ويهدى به

٣ ـ ومن الدليل على ماتقدم قصة اختلاف الصحابة في أسرى بدر . فان أبا بكر الصديق ومن تابعه أشاروا بأخذ الفداء

منهم . وعمر بن الخطاب ومن تابعه أشاروا بقتلهم ، فحكم النبي ﷺ بالأول ، ونزل القرآن بتفضيل الرأى الثاني مع تقرير الأول . وهذا دليل على تصويب الرأيين ، وان كلا من المجتهدين مصيب . ولو كان الرأى الاول خطأ لم يحكم به النبي ﷺ وكيف وقد أخبر الله تعالى أنه عين حكمه بقوله تعالى : « لولا كتاب من الله سبق » وطيب الفداء بقوله تعالى : « فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا » وانما وقع العتب على اختيار غير الأفضل

فأكثر مايقع الترجيح في المذاهب بالنظر الى الافضل من حيث قوة الدليل والقرب من الاحتياط والورع ونحو ذلك في مسائل معدودة لامن حيث مجموع المذهب . وأما بالنظر الى التصويب فكل صواب وحق لاشبهة فيه

٤ — ومن هنا كانت طريقة الصوفية أعدل الطرق وأفضلها وهي ألاّ تلتزم بمذهب معين بل تأخذ من كل مذهب بالاشد والاحوط والاورع بحيث يخرجون من جميع الأقاويل ويأتون بعبادة مجمع على صحتها

٥ — اذا تقرر هذا عرفنا ترجيح القول بأن كل مجتهد مصيب ، وان حكم الله في كل واقعة تابع لظن المجتهد ؛ وهو أحد القولين للأئمة الاربعة ونسب ترجيحه لأكثر الحنفية والشافعية والباقلاني

٦ — فان قلت : قوله ﷺ « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران واذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد » يدل على أن في المجتهدين من يصيب ومن يخطئ ، وان الحكم يختلف ، ولو كانوا مصيبين لم يحصل للتقسيم معنى . فالجواب كما قال السيوطي : احمل قوله ﷺ فأخطأ على عدم إدراكه الافضل والأولى . كما عيب على الصحابة في اختيار الفداء لأنه غير الافضل مع أنه حكم صواب وقد قال الفقهاء فيمن صلى رباعية الى أربع جهات كل ركعة الى جهة بالاجتهاد لا قضاء عليه مع القطع بأن ثلاث ركعات منها الى غير القبلة . واختلف اجتهاد عمر في الجدّ فقضى فيه باقضية مختلفة وكان يقول : ذاك على ما قضينا ، وهذا على ما نقضي

ونقل الكردري عن الشافعي أن المجتهدين القائلين بحكمين متباينين بمنزلة رسولين جاءا بشريعتين مختلفتين وكلتاهما حق وصدق . وقال الامام المازري : القول بأن الحق في طرفين هو ما عليه أكثر أهل التحقيق وهو مروى عن الائمة الأربعة واحتجوا بأنه ﷺ جعل له أجراً ولو لم يصب لم يؤجر . وأجابوا عن اطلاق الخبر بأنه محمول على من ذهل عن النص واجتهد فيما لا يسوغ الاجتهاد فيه من القطعيات مما خالف الاجماع فان مثل هذا اذا اتفق الخطأ فيه هو الذي يصح اطلاق الخطأ فيه . وأما من اجتهد في مسألة ليس فيها نص قاطع ولا

اجماع فلا يطلق عليه الخطأ . وفي الشفاء للقاضي عياض القول بتصويب المجتهدين هو الحق والصواب عندنا .

وقال صاحب جمع الجوامع والمتكلمون عليه : ونعتقد ان أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد وسائر أئمة المسلمين على هدى من الله تعالى ولا التفات الى من تكلم فيهم بما هم بريئون فيه فقد أوتوا من العلوم اللدنية والمواهب الالهيّة والاستنباطات الدقيقة والمعارف الغزيرة والدين والورع والعبادة والزهادة والجلالة المحل الذي لا يسامى . انتهى

ورأى النبيَّ ﷺ الامامُ أبو جعفر القاينيّ فقال له : يا رسول الله ، اختلف الأئمة من الفقهاء في مسائل كثيرة واحتج كل واحد منهم بآيات تحتمل معنيين وبأحاديث متضادة . فقال ﷺ « كل في اجتهاده مصيب » قال : قلت يا رسول الله هذه المسألة اختلف فيها أبو حنيفة والشافعي ، فقال أبو حنيفة : المجتهدان مصيبان والحق في واحد . وقال الشافعي : المجتهدان مصيب ومخطئ معفوّ عنه . فقال ﷺ « هما قريبان في المعنى وان كانا مختلفين في اللفظ » فقلت أيهما أولى بالأخذ من الفريقين ؟ فقال رسول الله ﷺ « كلاهما على الحق »

⁂

ان الله تعالى خص هذه الشريعة برفعه عن أهلها الآصار

والأنفال التي كانت على الأمم قبلها كتحتم القصاص في شريعة موسى عليه السلام، وتحتم الدية في شريعة عيسى عليه السلام، والتخيير بينهما في شريعتنا، وكقرض محل النجاسة من البدن في شرعهم وغسلها بالماء في شرعنا، وكامتناع النسخ في شريعة اليهود وجوازه في شرعنا؛ ومن ثمة استعظموا نسخ القبلة. وككتبهم فانها لا تقرأ إلا على حرف واحد وقرآننا الكريم يقرأ على حروف سبعة بل عشرة. كل ذلك لقوله تعالى: « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وقوله عزّ قائلا: « وما جعل عليكم في الدين من حرج » وقال ﷺ: بعثت بالحنيفية السمحة فمن سماحتها ويسرها ورفع الآصار عنها وقوع اختلاف أئمتنا في الفروع لتكون المذاهب على اختلافها كشرائع متعددة حتى لا يضيق الأمر بالتزام شيء واحد وحتى يثاب كل عامل بمذهب صحيح ويمدح عليه؛ وحتى ان من رأى له فسحة في غير مذهبه جاز له بشرطه الانتقال اليه والعمل به، وكل هذه نعم عظيمة الموقع واسعة الرفق لاسيما وهي مؤذنة بغاية رفعته ﷺ وتميزه على بقية الأنبياء بالتوسعة لأجله على أمته بتخييرهم في الأمر لواحد بالعمل بكل ما فيه سهولة لهم لتصويب كل مجتهد منهم

ومدحه وان فرض خطؤه

***

فقد بان من هذا أن اختلاف الائمة رحمة ، فلا يصح أن نحوّل هذه الرحمة الى نقمة فنذم من خالفنا في المذهب و نغتابه ونتعرض له بما يخل بتعظيمه وهذا يوجب الاختلاف والتفرق بين صفوف الامة المؤدي الى فشلها وذهاب ريحها ، وليس هذا من قواعد الاسلام ومبادئه وآدابه في شيء



١٢

وفاة الامام ابي حنيفة

حبس الامام — السياسة هى السبب فى موت الامام
— هل مات الامام مسموما — تحقيق وفاته —
تجهيزه — قبره — تأدب الأئمة مع
الامام وزيارة قبره — الرؤى التى
رآها الامام ورئيت له — رثاء
الامام — مؤلفاته —
مصادر تاريخ أبى
حنيفة

٧٣ ـ حبس الامام

قلنا فيما تقدم أن أبا جعفر المنصور طلب الامام أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد، وطلب منه أن يلي القضاء ـ أي أن يكون بتعبير عصرنا وزيرا للحقانية — وأن تكون قضاة الممالك

الاسلامية من تحت يده ، فاعتلّ بعلل ولم يقبل . فحلف عليه المنصور بيمين مغلظة انه ان لم يفعل ليحبسنه وليشددن عليه ، فأبى عليه أبو حنيفة ، فحبسه . وكان يرسل اليه في الحبس : ان أجبت الى ما طلبته منك أخرجتك . فأبى عليه أن يقبل القضاء ، وامتنع أشد امتناع . . . .

فأمر أن يخرج كل يوم فيضرب عشرة أسواط وينادى عليه في الاسواق ، فأخرج وضُرب ضربا موجعاً أثر في بشرته أثراً ظاهرا ونودي عليه في الاسواق والدّم يسيل على عقبيه وأعيد الى الحبس ، وضيق عليه تضييقاً شديدا في الطعام والشراب والحبس وفعل به ذلك عشرة أيام كل يوم عشرة أسواط فلما تتابع عليه الضرب بكى وأكثر الدعاء

فمكث بعد ذلك خمسة أيام وتوفى رحمه الله تعالى ورضي عنه

٧٤ ـ السياسة هي السبب فى موت الامام

وفي الحقيقة أن امتناع الامام عن تولي القضاء لا يجعل المنصور يقتله هذه القتلة الشنيعة ، وانما أرسل المنصور ليحضر أبا حنيفة من الكوفة الى بغداد ليقتله ويرتاح منه

والسبب فى ذلك أن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بن علي ابن أبي طالب لما خرج على المنصور بالبصرة خاف منه خوفاً شديدا

ولم يقرّ له قرار . فدسّ بعض أعداء أبي حنيفة الى المنصور أنه الامام أبا حنيفة يساعد ابراهيم ويقوّيه بمال كثير بل هو الذي أثاره عليه. وكان الامام أبو حنيفة مقبول القول وجيهاً عند الناس ذا حال واسعة من التجارة فخشي أبو جعفر من ميله الى ابراهيم فطلبه من الكوفة الى بغداد ولم يجسر على قتله بلا سبب فطلب منه أن يكون قاضيا لعلمه أن أبا حنيفة لا يفعل ذلك ويأبى كل الاباء أن يلي القضاء .فتوصل المنصور بهذا السبب الى قتل الامام

فأنت ترى من هذا أن السبب الحقيقي في موت الامام هو السياسة قاتلها الله فانها مادخلت في شيء الا أفسدته

٧٥ ـ هل مات الامام مسموماً ؟

روى أبو محمد الحارثي عن محمد بن المهاجر قال : سمعت أبي يقول رُفع الى أبي حنيفة قدح فيه سم ليشرب . فقال لا أشرب . فاكره على شربه مرات فأبى وقال : اني لأعلم ما فيه ، لاأعين على نفسي . فطُرِحَ فصُبَّ في فيه

وروى أبو محمد الحارثي عن نعيم بن يحيى قال : مات الامام أبو حنيفة غريبا مسموما

وروى أبو المؤيد الخوارزمي عن الامام أبي عبدالله بن الامام أبي حفص الكبير قال :قال يحيى بن النضير: لم يشكّوا في أن أبا حنيفة

سُقِيَ السمّ فمات

وقال الامام الموفق :

قد سمّه المنصور سُمًّا مذعفا	ليعيش مأموناً على سلطانه
مضيا الى لحديهما هذا الى	سخط الاله وذا الى رضوانه

وروى القاضي الصيمري عن الفضل بن دُكين قال : سقي ابو حنيفة شربة فمات منها . وأخبرت أنه لما حضر بين يدي المنصور دُعي له بسويق وأمره بشربه فامتنع فقال : لتشربنه فأكرهه على شربه ثم قام مبادراً . فقال له المنصور : الى أين ؟ فقال : الى حيث بعثت بي . فمضى به الى السجن فمات فيه

٧٦ – تاريخ وفاته

اتفقوا على أنه رضي الله عنه مات سنة ١٥٠ هجرية . وحكى أنه مات سنة ١٥١ ولكنهم غلّطوا قائله

واختلفوا في الشهر الذي مات فيه ، فقال ابن عفير المصري والواقدي وأبو حيان الزيادي ويعقوب بن شيبة وغيرهم في رجب ، وقال بعضهم في شعبان ، وقال أبو يوسف في النصف الاول من شوال . وقال الامام أبو المؤيد : أكثر الروايات المعتمد عليها أن وفاته كانت في رجب ، وعمره يوم موته سبعون سنة . ولم يكن له من الاولاد غير ابنه حماد

ولما أحس الامام بالموت سجد فخرجت روحه وهو ساجد.
وقد روى الامام أحمد ومسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»

٧٧ - تجهيزه

ولما توفي أخرج من مكان حبسه فحمله خمسة رجال الى أن أتوا به الى المكان الذي غسل فيه

وتولى غسله الحسن بن عمارة قاضي بغداد، وصب عليه أبو رجاء عبد الله بن واقدالهروي. ولما فرغ الحسن من غسله قال: «رحمك الله تعالى لم تفطر منذ ثلاثين سنة، ولم تتوسد يمينك بالليل منذ أربعين سنة. كنت أفقهنا وأعبدنا وأزهدنا وأجمعنا لخصال الخير، وقبرت اذ قبرت الى خير وسنة، وأتعبت من بعدك» رواه الخطيب

وروى الموفق بن أحمد عن أبي رجاء قال: كنت أصب على الامام أبي حنيفة حال غسل موته، فرأيت جسمه نحيفاً قد أذابته العبادة»

وما فرغ من غسله الا وقد اجتمع من أهل بغداد خلق لا يحصيهم الا الله تعالى كانه نودي لهم بموته

وروى أبو محمد الحارثي عن نعيم بن يحيي قال: حزر من صلي

على الامام أبي حنيفة فبلغ أكثر من خمسين الفا . واعيدت الصلاة عليه ست مرات

ولم يقدر على دفنه من كثرة الزحام وكثر البكاء والاسف عليه . وأوصى رضي الله عنه أن يدفن في مقابر الخيزران بالجانب الشرقي لأن هذه الارض كانت طيبة غير مغصوبة . ولما بلغ المنصور ذلك قال : من يعذرني منه حيا وميتا

ولما بلغ ابن جريج فقيه مكة موته استرجع وقال : أيّ علم ذهب

وعن نصر بن علي قال : كنت عند شعبة فأخبر بموت أبي حنيفة فاسترجع وقال : طُفئ عن الكوفة نور العلم ، أما انهم لا يرون مثله أبدا

وقال الفضل بن دكين في تاريخه : سمعت علي بن صالح يقول لما مات أبو حنيفة : ذهب مفتي العراق وفقيهها .

ومكث الناس يصلون على قبر الامام أبي حنيفة نحو عشرين يوما . رواه الخطيب

٧٨ ـ قبر الامام

بعد أن مات الامام بمدة بنى الاشرف الملك أبو سعيد المستوفي الخوارزمي قبة عظيمة على قبره وبنى الى جانبها مدرسة فلما تكامل بناؤها جاء شرف الملك والقضاة والامراء والاعيان

ومنهم الشريف أبو جعفر مسعود العباسي فأنشد ارتجالا :

ألم تر ان العلم كان مبدَّدا فجمّعه هذا المغيَّبُ في اللّحد
كذلك كانت هذه الارض ميتة فأنشرها جود العميد أبي سعد

ثم قال بعض الحاضرين :

قبر الامام أبي حنيفة روضةٌ من جنّة الخلد المنيرة ناضره
بها ينابيع العلوم غزيرة من تحته والمكرُمات النادره
فعليه من ربّ الانام سلامةٌ ما لاح نجمٌ في السماء الزاهره

قال صدقة المقابري ـ وكان مجاب الدعوة ـ بعد دفن أبي حنيفة في مقابر الخيزران سمعت الهواتف ثلاث ليال تقول :

ذهب الفقه فلا فقه لكم فاتقوا الله وكونوا خلفا
مات نعمان فمن هذا الذي يحيي الليل اذا ما سجفا

وقيل ان الجن بكته ليلة مات فكانوا يسمعون الصوت ولا يرون صورة الشخص

٧٩ ـ تأدب الائمة مع الامام حياً وميتاً

لم يزل العلماء وذوو الحاجات يزورون قبر الامام أبي حنيفة ، يتوسلون الى الله تعالى عنده في قضاء حوائجهم ، ويرون نجح ذلك . من هؤلاء العلماء :

الامام الشافعي رضي الله عنه لما كان ببغداد روى القاضي

الصيمري والخطيب عن علي بن ميمون قال : سمعت الامام الشافعي يقول : « اني لأتبرك بأبي حنيفة ، وأجيء الى قبره زائراً ، فاذا عرضت لى حاجة صليت ركعتين وجئت الى قبره وسألت الله عنده فما يبعد حتى تقضى

وفي شرح خطبة « المنهاج » للامام النواوي أن الامام الشافعي صلى الصبح بمقام الامام أبي حنيفة فلم يقنت في صلاة الصبح . فقيل له في ذلك ؟ فقال : تأدباً مع صاحب هذا القبر . ونقل ذلك محيي الدين القرشي في آخر طبقاته نقلا عن بعض التواريخ وزاد أنه لم يجهر بالبسملة . ولا اشكال في ذلك لأنه قد يعرض للسنة مایرجح ترك فعلها لكونه الآن أهم منها . ولاشك ان الاعلام برفعة مقام العلماء أمر مطلوب متأكد ، وانه عند الاحتياج اليه لتعليم جاهل أو لارغام أنف حسود أفضل من مجرد فعل القنوت والجهر بالبسملة ، للخلاف فيها وعدم الخلاف فيه ، ولان نفعه متعد ونفع ذينك قاصر ، ولا شك أيضاً أن الامام أبا حنيفة كان له حساد كثيرون في حياته وبعد مماته حتى رموه بالعظائم وسعوا في قتله تلك القتلة الشنيعة التي سبق الكلام عليها . ولا شك أن البيان بالفعل أظهر منه بالقول لأن دلالة الفعل عقلية ودلالة القول وضعية وهي يتصور فيها التخلف عن مدلولها . بخلاف الدلالة الفعلية . إذ الدلالة على كرم زيد بفعله للكرم لايشبهها

الدلالة على كرمه بقوله اني كريم

واذا تمهدت هذه الدواعي اتضح أن فعل الشافعي لذلك أفضل من فعله للقنوت والجهر، إظهاراً لمزيد التأدب مع الامام ولمزيد شرفه وعلوه وانه من أئمة المسلمين الذين يقتدى بهم ويجب توقيرهم وتعظيمهم وانه ممن يستحيا منه ويتأدب معه حياً وميتاً

وقدم عبد الله بن المبارك بغداد فقال : دلوني على قبر أبي حنيفة ، فدلوه عليه ، فقام على قبره فقال : رحمك الله يا أبا حنيفة مات ابراهيم النخعي وترك خلفا ، ومات حماد بن أبي سليمان وترك خلفا ، وأنت يا أبا حنيفة متّ ولم تترك على وجه الارض خلفا . . ثم بكى بكاء شديداً

وروى القاضي الصيمري عن شبابة بن سوار عن أبيه قال : رأيت الحسن بن عمارة قاضي بغداد في مقابر الخيزران عند قبر أبي حنيفة يبكي ويقول : رحمك الله كنت لنا خلفاً عمن مضى وما تركت بعدك خلفا . إن خلفوك في العلم الذي علمتهم لم يمكنهم أن يخلفوك في الورع . .

٨٠ ـ الرؤى التي رآها الامام أو التي رؤيت له

روى البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لم يبق من النبوة إلا المبشرات قالوا وما المبشرات يارسول الله ؟ قال

الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح و ترى له »

فعلى ذلك وتوفية للمقام نذكر بعض الرؤى التي رئيت لابي حنيفة حياً و ميتا

١ — قال الامام العلامة الورع الزاهد أبو عبد الله محمد بن الحسن الشافعي في كتاب « مجمع الاحباب » رأيت في بعض الكتب أن الامام أبا حنيفة قال : رأيت رب العزة في المنام تسعا و تسعين مرة فقلت في نفسي ان رأيته تمام المائة لأسألنه بم ينجو الخلائق من عذابك يوم القيامة . قال : فرأيته تبارك و تعالى فقلت : يا رب جلّ ثناؤك بم ينجو الخلائق من عذابك يوم القيامة ؟ فقال سبحانه و تعالى من قال بالغداة و العشي :

« سبحان الله الابدي الأبد ، سبحان الله الواحد الأحد ، سبحان الله الفرد الصمد ، سبحان الله رافع السماء بغير عمد ، سبحان من بسط الارض على ماء جمد ، سبحان من قسم الرزق ولم ينس أحدا ، سبحان من خلق الخلق وأحصاهم عددا ، سبحان من لم يتخذ زوجة ولا ولدا ، سبحان الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » نجا من عذابي

٢ — وروى الخطيب عن أبي يحي الحماني قال : سمعت أبا حنيفة يقول : رأيت رؤيا أفزعتني ، رأيت كأني أنبش قبر النبي ﷺ فأتيت البصرة فبعثت رجلا يسأل محمد بن سيرين . فسأله

فقال : هذا نبش أخبار رسول الله ﷺ

٣ — وروى الخطيب عن هشام بن مهران قال : رأى أبو حنيفة في النوم كأنه ينبش قبر الرسول ﷺ فبعث من سأل محمد بن سيرين ، فقال ابن سيرين : صاحب هذه الرؤيا ينبش علما لم يسبقه اليه أحد قبله

٤ — روى الخطيب عن أزهر بن كيسان قال : رأيت النبي ﷺ في المنام وخلفه رجلان ، وكنت زاهداً في علم أبي حنيفة ، فقيل لي : المتقدم رسول الله ﷺ واللذان خلفه أبو بكر وعمر . فقلت لهما : أسأل رسول الله ﷺ عن شيء ؟ فقالا : سل ولا ترفع صوتك . فسألته عن علم أبي حنيفة ، فقال ﷺ : هذا علم انتسخ من علم الخضر

٥ — وروى أبو أحمد العسكري وأبو يعقوب يوسف بن أحمد المكي عن الجماني قال رأيت نجما سقط من السماء ، فمات أبو حنيفة . ثم سقط آخر ، فقيل : مِسعَر . ثم سقط آخر ، فقيل سفيان . فذكر ذلك لمحمد بن مقاتل فبكى ثم قال : « العلماء نجوم الارض »

٦ - وروى القاضي الصيمري والخطيب وغيرهما عن محمد ابن رجاء قال : رأيت محمد بن الحسن في المنام فقلت : يا أباعبد الله مافعل الله بك ؟ قال: قال لي اني لم أجعل جوفك وعاء للعلم وأنا

أريد أن أعذبك . فقلت : ما فعل الله بأبي يوسف ؟ قال فوقي. قلت : ما فعل الله بأبي حنيفة ؟ قال في أعلى عليين . وفي رواية : فوق أبي يوسف بطبقات

٧ — وروى الخطيب عن جعفر بن الحسن قال : رأيت أبا حنيفة في المنام . فقلت له يا أبا حنيفة ما فعل الله تعـالى بك ؟ قال : غفر لى . قلت بالعلم ؟ قال : ما أضرّ الفتوى على صاحبها . قلت له : فبم ؟ قال « بقول الناس فيّ ماليس فيّ ، أو ماليس يعلمونه مني »

٨ — وروي أيضا عن عباد التّمار قال : رأيت أبا حنيفة في المنام فقلت : الى ماذا صرت ؟ قال الى سعة ورحمة من الله عزوجل قلت : بالعلم ؟ قال هيهات للعلم شروط وآفات قل من ينجو منها . قلت: فبماذا ؟ قال « بقول الناس عني ما لم أكن عليه »

١٠ — وعن أبي معاذ الفضل بن خالد قال : رأيت رسول الله ﷺ في المنام فقلت يا رسول الله ما تقول في علم أبي حنيفه ؟ فقال ذاك علم يحتاج اليه الناس

٨١ ـ رثاء الامام

لما توفي الامام أبو حنيفة بكاه الناس ورثاه الشعراء وأبّنه الخطباء ، وهذه نماذج من المرثيات التى قيلت فيه :

لقد طلع النعمانُ من أرض كوفةٍ
كغُرّة صُبحٍ يَستفيض ابتـلاجُها
هو المرتضى في الدين والمقتدي به
وصدرُ الورى في الخافقين وتاجُها
اذا مرض الاسلامُ والدين مرضةً
فمن نُكَتِ النعمان يُلْقَى علاجُهـا
وإن كسَدَتْ سوقُ الهدى وتراجعتْ
فمن مذهب النعمان يُلقى رواجُهـا
وإن فُتِحتْ أبوابُ جهلٍ وبدعةٍ
على الناس يوما كان منها رِتاجُها
وإن غُمّة عمت فمنه انجلاؤها
وإن شدّةٌ ضاقت فمنه انفراجها
حوى العذبَ من بحر الشريعة صافياً
وحظ جميع العـالمين أجاجُها
لقد خصص الله النبي محمداً
بأشياء منها النفس دام ابتهاجُها
فأمتُه قد أُخرجَتْ خير امةٍ
كما جاء والنعمانُ فيها سراجُها
فها هو في أرض ببغداد قد ثوى
أضاءت به أرجاؤها وفجاجها

***

وقال الامام ابن المبارك :

فان أبا حنيفة كان بحرا نقياً خاشعاً ولديه خيفه
ولم يك بالعراق له نظير ولا بالمشرقين ولا بكوفه

***

وقال أيضاً :

رأيت أبا حنيفة كل يوم يزيد نبالةً ويزيد خيرَا
إذا ما المشكلات تدافعتها رجالُ العلمِ كان بها بصيرا

***

وقال الامام أبو المؤيد الخوارَزْمي :

نعمانُ كان سراجَ أفضل أمّة لكن سراجٌ دائمُ اللمعانِ
الخلقُ جسمٌ والأئمة مقلةٌ وإمامُها النعمانُ كالانسانِ

***

وقال أيضاً :

لأبي حنيفة في العلوم منارَ مُلِئَتْ به الآفاقُ والأقطارُ
شيخُ البرية في العلوم ومن له تُروَى المناقِبُ عنهُ والاخبارُ

وقال :

أئمة هذه الدنيا جميعاً بلا ريب عيالُ أبي حنيفه
وكفّةُ فقهه ثقُلت عياناً وكفةُ فقههم جاءت خفيفه

٨٢ - مؤلفات الامام

مما ينسب الى الامام أبي حنيفة كتاب « الفقه الأكبر » .
قال الامام البزدوي في أصول الفقه : العلم نوعان : علم التوحيد والصفات ، وعلم الفقه والشرائع والأحكام . والأصل في النوع الأول التمسك بالكتاب والسنة ومجانبة الهوى والبدعة ولزوم طريق السنة والجماعة الذي كان عليه الصحابة والتابعون ومضى عليه السلف الصالحون ، وهو الذي أدركنا عليه مشايخنا وكان على ذلك سلفنا أعني : أبا حنيفة وأبا يوسف ومحمدا وعامة أصحابهم رحمهم الله . وقد صنف أبو حنيفة رحمة الله عليه في ذلك : « الفقه الاكبر » وذكر فيه إثبات الصفات وإثبات تقدير الخير والشر من الله تعالى وان ذلك كله بمشيئة الله . . انتهى كلام البزدوي

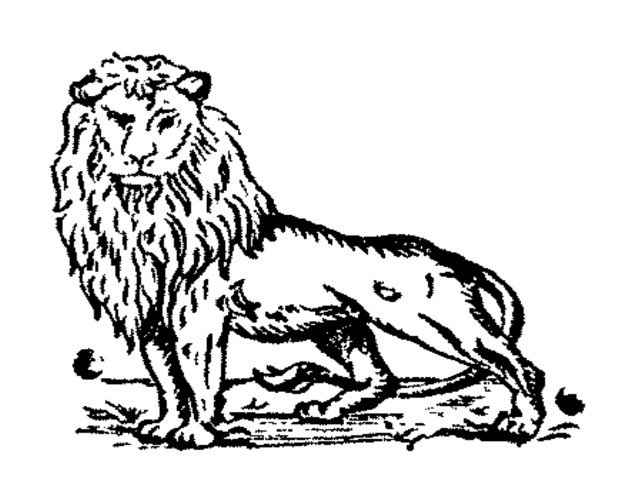
وقد شرح هذا الكتاب الامام أبوالمنتهى ويقع شرحه هذا مع متن الفقه الاكبر في ٣١ صفحة

وينسب اليه غير هذا الكتاب كتاب الرد على القدرية وكتاب العالم والمتعلم وكتاب الفقه الابسط . ورسائل فيها بعض وصايا . وكل هذا مطبوع في الاستانة في مجلد

المصادر

أما المصادر التي رجعنا اليها في تحرير هذه المناقب فيطول بنا القول اذا كتبنا ثبتاً باحصائها فقد بلغت زهاء خمسمائة كتاب في التفسير والحديث و الفقه و الاصول والتاريخ و السير و التراجم وغيرها ، وقد أشرنا الى بعضها في غضون الكتابة

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله . وسبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .



فهرس

